الإصلاح العلمي أولاً

عيد الدويهيس

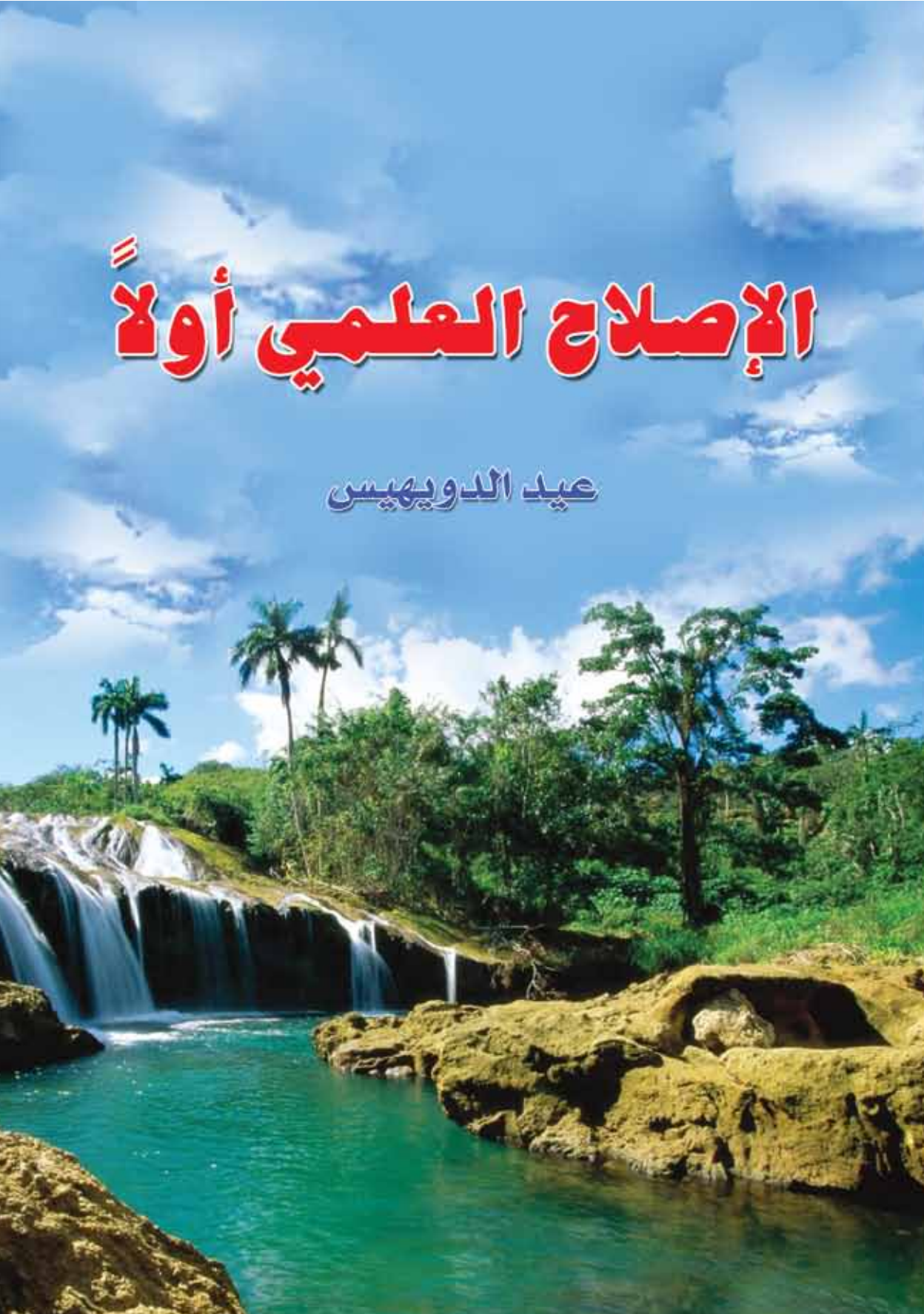

الإصلاح العلمي أولاً

عيد الدويهيس

حقوق الطبع

حقوق طبع هذا الكتاب مهداه من المؤلف إلى كل مسلم
وجزي اللّٰه خيرا من طبعه أو أعان على طبعه وغفر
اللّٰه له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى ابريل ٢٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الإصلاح العلمي أولاً

عيد الدويهيس

الفهرس

الفهرس ٥

المقدمة ٧

المدخل لقراءة هذا الكتاب ٩

الجاهلية الحديثة ١٥

باحثون وأساتذة جامعات ٣٧

كيف نتطور؟ ٤٣

السلطة العلمية أولاً ٥٩

علم المؤسسة ٧٣

قفزات علمية ٧٧

كتب المؤلف ..... ٨٦ - ٨٧

الإصلاح العلمي أولاً

عيد الدويهيس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فيأتي كتاب «الإصلاح العلمي أولاً» بعد كتابين هما «الطريق إلى التقدم العلمي» و«أين السلطة العلمية؟» وتدعو هذه الكتب الثلاثة إلى إيجاد سلطة علمية هدفها أن يكون للعلم في مختلف التخصصات دور كبير في قيادة التنمية، وهذا يتطلب بناء قطاع علمي قوي يؤدي إلى زيادة الرصيد العلمي للأفراد والمؤسسات والدول وقال علماؤنا «العلم قبل العمل» وإذا تحقق ذلك ستتحقق بإذن الله قفزات تنموية كبيرة في حياتنا الخاصة والعامة، ويقول مقترح السلطة العلمية إن أكبر أعداءنا هو جهلنا وليس الأعداء والفاسدين من بني جلدتنا فكم أضرنا جهل المخلصين؟ ومن أدلة هذا الجهل كثرة الاختلافات والفشل واليأس، ويعتقد كثيرون أن هناك اقتناع بمقترح السلطة العلمية وأقول هذا ليس بصحيح فأغلبية أهل العلم لم يسمعوا بمصطلح السلطة العلمية ناهيك عن معرفة الخطوط العريضة لها فما بالك بغيرهم. وهذا المقترح قائم على إعطاء العلم والعلماء والمتخصصين قوة وصلاحيات وإمكانيات وهذا يعني أن يكون البحث العلمي منهج حياتنا وأن نبدأ فوراً كأفراد ومؤسسات ودول بزيادة رصيدنا العلمي من خلال القراءة والتدريب والحوار والتشاور والتعلم والبحث وأن نحسن الاستماع لكل من عنده علم وخبرة وأن نخصص ساعات للقراءة حتى في وظائفنا وغير ذلك، ولا يعني الإصلاح العلمي أولاً أن الإصلاح ليس مطلوبًا على جهات كثيرة، بل يعني أن الإصلاح

والتطور بلا تقدم علمي سيكون محدود، لأن كل أنواع الإصلاح نصفها علم ونصفها عمل وكثيرًا وللأسف ما ننسى ذلك. وفي الختام أشكر كل من ساعد في إنجاز هذا الكتاب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم وأسأل كل من انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين.

عيد بطاح الدويهيس
الكويت في ٢ جمادى الأول ١٤٣٨ هجرية
٣٠ يناير ٢٠١٧ ميلادية

المدخل لقراءة هذا الكتاب

عندما تكتب في مواضيع العلم والفكر والسياسة والواقع فتوقع أن يكون هناك فهم خاطئ لبعض ما تقول وتتمنى أن يكون هناك نقاش مع هؤلاء وهذا أمر يصعب تحقيقه في حالات كثيرة لهذا أطالب بحسن الظن والقراءة العميقة والشمولية لما أكتب وكتبت النقاط التالية حتى لا يقتنع عقل القارئ بما لم أقوله أو ما لم أقصده:

١) **الكفاءات الوطنية:** عندما أتكلم عن جهل المتخصصين والمثقفين والمؤسسات والحكومات...الخ فلا يعني ذلك أنني أنكر وجود علم وخبرة وذكاء وعلماء ومتخصصين متميزين أو أقلل من إنجازات كثيرة لأفراد ومؤسسات ودول، بل أقصد أن ما يوجد عندنا من علم ودراسات علمية وعلماء ومتخصصين متميزين أقل بكثير من الذي نحتاجه للتطوير الاقتصادي أو الإداري أو التعليمي أو الزراعي أو غير ذلك ومما يثبت ما أقول أن العرب يصرفون أقل من ٥٪ مما تصرفه الولايات المتحدة على البحث العلمي أي ينقصنا الكثير جداً من المعلومات والأرقام والفهم الصحيح لأغلب مجالات التنمية وهذا يعني أن كثيراً من قراراتنا وخططنا ستكون ضعيفة أو خاطئة وسنكون عاجزين عن تحقيق قفزات تنموية كثيرة على مستوى القطاعات والدولة، وكثيراً ما نتجاهل هذه الحقيقة المرة ونعلن آراءنا المتناقضة التي تفتقد أغلبها إلى دراسات علمية حقيقية تؤيدها.

٢) **من هم العلماء؟:** يظن البعض أن المقصود بأهل العلم هم أساتذة الجامعات والباحثين في المعاهد العلمية وأقول بل هم كل من عنده علم وخبرة

ونصف أهل العلم هم ممن عملوا في القطاعات التنموية أي لهم خبرات متميزة في علم الواقع في مصانع ومزارع ووزارات ومدارس واستثمارات وتجارة ومقاولات وغير ذلك فمثلاً نصف العاملين في معهد الدراسات التعليمية في السلطة العلمية هم معلمون ونظار وموجهين ومسئولين سابقين في وزارة التعليم ومثل هذا يقال عن بقية المعاهد فأنا أدرك أن الخبرات النظرية لأساتذة الجامعات لا تكفي وأن الرصيد العلمي الوطني أكبر بكثير من الرصيد العلمي للسلطة العلمية وأنه لا يعمل في السلطة العلمية إلا خمسة في المئة من المتخصصين من ذوي الخبرات النظرية والعملية، وأن المطلوب حشد كل الطاقات العلمية المتميزة في القطاعات والمؤسسات، وأن على السلطة العلمية أن تستمع وتحاور أغلب أهل العلم وأغلب أهل التنمية فهي عقل الدولة الذي يعالج ويبحث في الآراء والمقترحات.

٣) **سلطة معنوية:** مع أنني قلت مراراً وتكراراً أن السلطة العلمية هي سلطة استشارية إلا أنني وجدت من يقول نخشى أن تفرض السلطة العلمية رأيها على الدولة، وأقول السلطة العلمية هي سلطة معنوية وأدبية فهي تدرس وتقرأ وتفكر وتبحث وتقدم أرقام ومقترحات فهي تساعد عقول أهل التنمية وكل مخلص عاقل من أهل التنمية في حاجة لمن يساعده بالعلم والخبرة واستخدمت مصطلح سلطة حتى أعطيها استقلالية وإمكانيات تمكنها من تجميع وزيادة الرصيد العلمي الوطني إذن اعتماد القرارات والبرامج والخطط هو مسؤولية أهل التنمية ووجدت من يقول العكس ما دامت السلطة العلمية استشارية فلن يستمع لها أحد، وأقول هذا ليس بصحيح فنصائح الأب يتم قبول الكثير منها من أبنائه الكبار وللأطفال تأثير كبير في أهداف الأسرة بالرغم من تجردهم من الصلاحيات وبالتأكيد إن من

أهم أسس نجاح السلطة العلمية أن ينجح المسئوولون فيها في التعامل بالحكمة واللين والمحبة والإخلاص مع أهل التنمية.

٤) **أنواع من الجهل:** قيل لي لقد تكلمت عن أمراض في مجتمعاتنا الكل يعرفها وأقول أننا نجهل الكثير من تفاصيلها وأسبابها وطرق علاجها وحاولت أن أثبت أن الجهل وليس الأعداء والفاسدين هم الأكثر تأثيراً في صناعتها فاللجنة العلمية المستعجلة تحارب العلم، وتظن الفتاة الضائعة أنها على صواب وهي مخطئة ويهدم المغرد الذي لم يستمع إلى العلم والعلماء أكثر مما يبني، فنحن نعرف أن عندنا تخلف إداري ولكننا نجهل تفاصيله وآثاره وحتى خطورته ومثل هذا يقال عن بقية أنواع التخلف، إذن المعرفة السطحية والجزئية لا تكفي ومحدودة الفائدة ومن يصرف مئات الملايين من الدنانير على البحث العلمي ليس مثل من يصرف عشرات الملايين، فالعلم مستويات والجهل مستويات، والهدف من السلطة العلمية أن تكون هي عقول وعيون الدولة وأقصد بالدولة الشعب والحكومة والمعارضة والقطاع الخاص والجامعات والمعاهد العلمية، ولديها علم وخبرة أكبر بكثير من الرصيد العلمي لحكومة أو وزارة أو مؤسسة أو مجلس أعلى للتخطيط أو التعليم أو الاقتصاد.

٥) **أراؤنا ومقترحاتنا:** لدى الكثيرين منا آراء ومقترحات نعتقد أنها ستساهم في حل مشاكلنا أو تحقيق طموحاتنا، وكم تم تقديم توصيات في مؤتمرات علمية ولجان حكومية أو تجمعات شعبية وغير ذلك فمثلاً كثيرون هم المقتنعون بأهمية أن تكون وظيفة المعلم جذابة ومهمة ولكن لم يتغير واقع المعلمين كثيراً ولم نجد سياسات فعالة للمحافظة على الكفاءات الوطنية أو للاستفادة القصوى منها

وأقول لنوصل مقترحاتنا للسلطة العلمية لتدرسها وتقبل منها ما يصلح للتطبيق وتسعى لإيجاد بيئة صالحة لنجاح المقترحات الصحيحة ودور السلطة العلمية هو التعمق في دراسة هذه المقترحات وجمع المعلومات والخروج من العموميات إلى مرحلة التفاصيل فمثلاً ربط البحث العلمي في الجامعة مع احتياجات القطاع التنموي لا يتحقق من خلال تشكيل لجنة فأحياناً لا تعرف الجهات التنموية احتياجاتها البحثية أو تقولها بصورة عموميات أو لا نعرف الأولويات البحثية على مستوى القطاع أو الوطن وغير ذلك كثير فكثير من المواضيع أكثر تعقيداً وعمقاً وشمولية مما نظن وتحتاج دراسات علمية كثيرة ومن عدة فرق كبيرة.

٦) **هل أنا خيالي؟** : أنا لا أسعى للمدينة الفاضلة ولا أتكلم جاهلاً بالواقع والصعوبات فأنا أعيش الواقع العربي منذ ستون عاماً وأعلم أن ما أطالب به حققته دول على أرض الواقع وأن كل ما يمكن تحقيقه ليس مثالية أو خيال وأدرك أن الإصلاح والتطور بحاجة إلى عقود ولابد من التدرج والنسبية والصبر والتنازلات وأنا مقتنع بأن مقترح السلطة العلمية أو حتى نصفه فيه خير كبير جداً جداً وفي خلال سنوات قليلة سنحقق بإذن الله قفزات كبيرة، فالإمكانيات البشرية والمادية والفكرية كبيرة جداً فهو أشبه بجلب مياه غزيرة إلى منطقة زراعية فهو سيضاعف إنتاجها عشر مرات على الأقل ولكنه لن يحولها إلى منطقة مثالية أو نموذجية وبالتأكيد أن اليائسون والمتشائمون سيكونون متواضعين في أهدافهم لأنهم يرون الصعوبات ونقاط الضعف ولا يعرفون قوة الإيمان والعلم ولا يرون نقاط القوة والفرص والإمكانيات وأنا والحمد لله لا أستسلم للواقع السيء ولن أتأقلم مع جبهة الكسل والتأجيل والانتظار واللامبالاة والذل والنفاق والفساد واليأس ولن

أقبل بانحرافات فكرية وعصبيات عرقية فالقبول بذلك ليس واقعية ورحم الله الدكتور غازي القصيبي الذي قال:

وإن مضيت فقولي: لم يكن بطلاً لكنه لم يقبل جبهة العار

الإصلاح العلمي أولاً

عيد الدويهيس

الجاهلية الحديثة

الجهل هو المنبع الأول للانحرافات والتخلف والقلق والفساد والأخطاء والفشل فالجاهل يضر نفسه من حيث لا يدري، وكم أضر الناس أنفسهم بعقائد واقتناعات باطلة والمنبع الثاني هو المعاصي فهناك من يعرف الحق والصواب ولكن أهواءه أو شهواته أو عصبيته العرقية تجعله ينحرف أما المنبع الثالث فهم الفاسدون من بني جلدتنا فهؤلاء يفسدون سواءً عرفوا الحق أم لم يعرفوه وهم يظنون أن مصالحهم تتحقق بالفساد، أما المنبع الرابع للشر والفساد فهو ما يصنعه الأعداء من تآمر وعدوان وهدم، وأخطر أعداء أنفسنا وشعوبنا هو الجهل فكثيراً ما فسدت حياتنا الشخصية والأسرية بسببه وأفسد كثيرًا حياتنا العامة، فالجهل بالعقائد الصحيحة والصناعة والإدارة والاقتصاد والسياسة وغير ذلك أضرنا كثيرًا وحتى قوة الأعداء الخارجيين تصبح ضعيفة إذا كان عندنا علم، فالأسد ليس قويًا إن كان عندك سلاح تقتله وليس المقصود بالجهل الأمية بل هو نقص العلم عندنا كأفراد ومؤسسات وحكومات، فالأمية هي عدم القراءة وكثيراً ممن يقرءون ولديهم شهادات جامعية جهلاء في العقائد أو التربية أو السياسة أو غير ذلك قال أحدهم «يا وطن إنني أكتب لك فقال الوطن لا تكتب لي بل اقرأ لي» وأقول بل اقرأ وابحث واسأل وشاور ونحن بأمس الحاجة إلى أدلة علمية تثبت أن هناك جهلًا كبيرًا في عقولنا ومؤسساتنا ومن أهم الأدلة طلب أرقام وإحصائيات لكثير من المواضيع وتعالوا نتحدث عن الجهل من خلال النقاط التالية:

(١) **واجهلاه:** قال وزير عربي: «نأخذ القرار ونعتقد أنه سيحقق مصالح الوطن ونكتشف عند تطبيقه سلبيات كثيرة أو ضعفه في تحقيق الأهداف المرجوة»

وقال وكيل وزارة: «من الملاحظ أن كثيراً من قراراتنا وخططنا تفشل» وأقول بل أحيانًا تهدم بعض ما تم بناءه من عقائد وأخلاق وأنظمة إدارية فعالة وغير ذلك إذن هناك كثير من الآراء الخاطئة تبدو مقنعة ولديها أدلة علمية تساندها ولكن الأمر ليس كذلك، وهناك آراء ومقترحات صحيحة يتم معارضتها بأدلة تبدو علمية ولكن الأمر ليس كذلك قال الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وأنا هنا لا أطعن في كفاءة وعلم وخبرة وزراء ومستشارين ومتخصصين وباحثين وأساتذة جامعات بل أقول إن الرصيد المطلوب للتعامل مع كثير من القضايا العامة وغيرها أكبر بكثير مما عندهم من علم وعقول فالأمور تعقدت كثيرًا ولم يعد الاقتصاد بسيطًا وأصبح عالم السياسة معقد أو غير ذلك ولهذا يصرف الغرب سنويًا مئات المليارات من الدولارات على البحث العلمي ولو قارنا ما صرفوه وما صرفناه خلال ثلاثين سنة لاقتنعنا أنا نعيش في فقر علمي مدقع مما يضعف كثيرًا من قدرتنا على تشخيص وعلاج مشاكلنا وصناعة الإصلاح والتقدم.

(٢) **الجهل في تطوير التعليم:** قال دكتور جامعي شارك في إعداد خطة لوزارة التعليم في بلد عربي: «نحن فعلًا لا نعرف نظامنا التعليمي الحالي بصورة واضحة وما نعمله من خطط لا ندري مدى صلاحيتها للتطبيق»، وقال «كتب في الخطة التعليمية ثمانية وأربعين هدفًا ولما قرأنا خطة الولايات المتحدة وجدنا لديها ثمانية أهداف فقط ولما تعمقنا في أهدافنا وجدنا أن بعض ما كتبناه هو

أهداف مرحلية أو سياسات» وقال مسئول سابق في وزارة التعليم: «إننا نفشل في إعداد خطط التعليم وغيرها من الخطط» وقال ثالث: «نأخذ قرارات تربوية بدون وجود دراسات علمية» وأقول عندنا بعض الدراسات المحلية والأجنبية عن التعليم وغيره ولكن ما نحتاجه أكثر بكثير وما قالوه يختصر كثير من الحقائق، ويثبت أن رصيدنا العلمي كوزارات ووطن قليل وإذا كنا قد عجزنا عن كتابة أهداف علمية فكيف بأمور أصعب من ذلك بكثير وأصبح من المألوف والشائع أن خططنا التعليمية وغيرها تتغير بتغير الوزير فإذا ذهب الوزير ذهبت الخطة وأصبح التعليم وغيره حقول تجارب فهذا الوزير يظن أن فتح الأبواب للمدارس والجامعات الأجنبية سيطور التعليم وهذا خطأ كبير، والآخر لا يعترف إلا بالعلوم والهندسة وهذه كارثة علمية والثالث ينقل أساليب ومناهج غربية وهذه مصيبة تنموية وهكذا وهذا عبث أدى إلى مزيد من الفشل فالمسألة ليست آراء وظنون وتقليد بل لا بد أولًا من بناء رصيد علمي قوي جدًا في التعليم وغيره وحتى تقتنعوا أن الأمر جدي فقد قامت شركة أمريكية بتوظيف ثلاثة آلاف مهندس لتطوير أبحاثها في الطاقة المتجددة في حين أننا نجمع عشرة من العاملين في الطاقة ونطلب منهم حل مشاكل الطاقة في الدولة ونصفهم أصحاب مناصب جاء أغلبهم بالواسطة ومن العشرة اثنان فقط متخصصون ومتميزون وما نحتاجه من العلم والخبرة أكثر مما لدينا بمائة مرة ولنعلم أن هناك مجالات علمية متخصصة لدرجة أنك تجد مجلة دورية علمية متخصصة فقط في «أمراض الطماطم» إذن هم يتعاملون مع العلم بجدية ونحن نتعامل معه بسطحية ألم أقل لكم أن الجهل هو مصيبتنا الأولى والتعامل بسطحية مع العلم هو جهل وليس هذا نقصًا في شهادتنا وخبرتنا

بل لأن العلم المطلوب كبير جدًا ونحن لا نملك كدول ومؤسسات الحد الأدنى من هذا الرصيد العلمي حتى لو حشدنا كل ما عندنا من علماء وعلم وخبرات وزاد الطين بلة أن كثيراً من علمائنا ومتخصصينا لم ينتبهوا لذلك أو لم يتعمقوا في مشكلة الرصيد العلمي الوطني الضعيف وكثيراً من الوزراء والمسئولين المخلصين لم يتكلموا عن ما واجهوه من نقص شديد في العلم والمعلومات وحقائق الواقع، وقال وزير: «تطالبني بخطة خمسية وأنا لا أعرف ما الذي سأعمله بعد ستة شهور» أي نعيش في عالم رد الفعل والترقيع والتخبط والضياع، وقال صحفي عربي عن منهج إدارة دولته «كنا نظن أن الجربة مقطوعة فلم نجد جربة».

(٣) **التناقض والتفرق:** قيل «إن العلم يوحد والجهل يفرق» واقتناعاتنا كعرب متناقضة في أمور كثيرة وقال لي أحد حكماء العرب: «إن لدى الإسلاميين اقتناع بأن النصر قادم وأن المستقبل لهم ولدى الليبراليين اقتناع بأن الاتجاه الإسلامي ضعيف وفي طريقه إلى الزوال» وهناك من يظن أن الإصلاح لن يتحقق إلا بعد أن يمر العرب بما مرت به أوروبا من صراعات وحروب وأن هذا هو الطريق للنضوج العقلي والعلمي الذين سيؤديان إلى الديمقراطية الحقيقية وقبول الآخر وهناك مصلحون وشباب ينظرون بمثالية للأمور وهناك سياسيون ينظرون بواقعية وأحيانًا استسلام للواقع وهناك من لا يرى أي قوة للعلم أو الإخلاص أو الأخلاق وكم شاهدت آراء خاطئة أساسية في كثير ممن يعتبرهم الناس نخبة المجتمع أو رموز شعبية وشاهدنا متخصصين ومثقفين يتناقضون في عقائدهم وآرائهم السياسية ومن يتكلمون في غير مجال تخصصهم وأساتذة جامعات يفتقدون الموضوعية فيعتبرون واقعنا وتاريخنا مليء بالصفحات السوداء وقليل من الصفحات البيضاء،

إذن عندنا أنواع من العلم المزور، والعلماء الضائعون وتناقضاتنا تثبت أننا نعاني من جهل كبير فكم من محاولات بناء وحدة شعبية فشلت لأن القائمون عليها لديهم جهل فكري أو سياسي كبير وكثيرون لا يدركون أن البناء الفكري هو أساس أي اتفاق وتعاون كبير ومستمر، والمشكلة أن كل فرد أو طرف يظن أنه يعرف الحقائق ولا يشك في صحة ما لديه من معلومات أو عقيدة أو فهم، وإليكم حكاية الرجل الفرنسي والتي تثبت أن ثلاثة أرباع الموجودين لم يفهموا ما حدث مع أنهم كانوا قريبين جدًا فما بالك بالبعيدين، فمما يروى أنه في الحرب العالمية الثانية عندما كانت ألمانيا تحتل فرنسا ركب رجل فرنسي وضابط ألماني وامرأة عجوز وفتاة جميلة في عربة أحد القطارات ولما دخل القطار نفقًا مظلمًا سمع الجميع صوت قبله ثم صوت صفعة شديدة وبعد خروج القطار من النفق كانت آثار الصفعة واضحة على وجه الضابط الألماني والآن ماذا حدث لقد ظن الضابط الألماني أن الرجل الفرنسي قبل الفتاة فظنت الفتاة أن الضابط هو الذي قبلها وظنت العجوز أن الفتاة صفعت الضابط بعد أن قبلها وظنت الفتاة أن الضابط قبل العجوز فصفعته وطبعًا كل واحد يعتقد أن تفسيره لما حدث هو الصحيح ولكن الحقيقة أن الرجل الفرنسي قبل يده ثم صفع الضابط الألماني وواصل القطار رحلته والكل يعتقد أنه عرف الحقيقة ولم يعرفها إلا الرجل الفرنسي ولا زال القطار العربي يمر على محطات السنين وكثيرون مقتنعون بآراء خاطئة لأنهم لم يتعمقوا ولم يسألوا العلماء ولم يبحثوا، وأطالب ببذل جهود في البناء العلمي وجهود أخرى في منع الجهل والجهلاء من التأثير في حياتنا وقراراتنا وخططنا ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

(٤) **مؤشرات الجهل:** سأذكر بعض الأدلة التي تثبت انتشار الجهل في

عقولنا ومؤسساتنا وجامعاتنا وغير ذلك ومن هذه المؤشرات:

(أ) **الذاكرة العلمية:** كم كررنا أخطاء ارتكبناها قبل خمس أو عشر سنوات أو أكثر فلا يوجد تراكم علمي في كثير من مؤسساتنا ولا يتم تجميع ما تم من دراسات واستشارات وتقارير وقليل هم من يقرأون من المسئولين والموظفين وكثيرون لا يعرفون حتى بوجودها وكلنا يعرف مدى ضعف أنظمة معلوماتنا و مكتباتنا فنحن أشبه بإنسان فقد الذاكرة وعليه أن يتعلم من جديد بين فترة وأخرى والتعلم من جديد في مؤسسة حتى لو كان عمرها عقود معناه أنها تبدأ من رصيد علمي صفر أو قريب من الصفر.

(ب) **الهايدبارك العلمي:** إذا تعمقت في كثير من الاجتماعات واللجان الرسمية والشعبية ستجد أن من يتكلمون بها ليسوا متخصصين في الموضوع أو متخصصين لكن ليس عندهم خبرة فيما يتحدثون منه فما يقال هو آراء متناقضة وليس حديث علمي وإذا كان هذا حال اللجان فما بالك بالأفراد ويكفي أن نتذكر ما قاله دكتور كويتي بسخرية «إنني أخطأت في التخصص في علم السياسة لأن الكل يعرف سياسة» وما ينطبق على التجرأ على علم السياسة ينطبق على مجالات علمية كثيرة فهناك حرب شرسة على العلم نقوم بها ونحن لا نعلم أننا جنود للجهل.

(جـ) **السلطة العلمية:** كم من متخصص أو مثقف رفض مقترح السلطة العلمية بدون أن يقرأه وهذا واقع شاهدته وأحيانًا لم يحسنوا الصمت للاستماع إلى شرحي لهذا المقترح مع أن خلف هذا المقترح أكثر من ثلاثين سنة من التخصص والخبرة والقراءة والمعايشة والحوارات... إلخ وما أكثر المغرورين بآرائهم واقتناعاتهم

حتى لو كان أكثرهم متواضعين في نفوسهم.

(د) **التخطيط الوهمي**: انظروا إلى من يقومون بإعداد الخطط الخمسية أو غيرها من المؤسسات أو وزارات أو دول ولن تجدوا في أغلبهم من هو متخصص في علم التخطيط بل قد تجدون كل التخصصات ما عدا المتخصصين في علم التخطيط ولهذا لا تستغربوا عندما تكون الغالبية من خططنا متواضعة الأهداف أو جزئية أو ضعيفة أو وهمية وحتى اليوم لا يعرف العرب أن هذا من أهم أسباب ضعف خططهم، وكيف يمكن أن نصنع خطط ناجحة في ظل رصيد علمي وطني ضعيف وأقول لمن لا زال مقتنع بأن عندنا خطط ممتازة أرجو أن تقنعوا الولايات المتحدة أن بإمكانها عمل خطط صحيحة وقرارات صائبة بدون أن تصرف مئات المليارات على البحث العلمي.

(هـ) **سيطرة المسئولين**: ألا تشاهدون الأضواء الإعلامية على المسئولين وماذا قالوا؟ وماذا اقترحوا؟ وغيابها عن العلماء والمتخصصين وإذا تكلم الوزير أو المدير سكت المستشارون والمتخصصون فهناك احتلال من السلطات التنفيذية والنيابية والشعبية لمساحات شاسعة من أراضي العلم، ورأيت تمثيلية عربية يقول فيها المسئول للمستشار: «هذه أول مرة أستشيرك من ثلاث سنوات» وكانت الاستشارة المطلوبة في موضوع يؤثر على بقاء المسئول في منصبه وليس لتطوير المؤسسة.

(و) **اللجنة المستعجلة**: كم من لجنة متخصصة على مستوى الوطن أو داخل وزارة أو مؤسسة أغلب أعضاؤها ليسوا متخصصين ولا يشاورون المتخصصين وهي مستعجلة في الانتهاء من المطلوب منها ولا وقت عندها للنقاش والحوار حتى لو كان الأمر يتعلق بخطة خمسية فنحن أبخل الناس بالمال والوقت لكل ما يتعلق

بالعلم والتفكير والحوار العلمي والدراسات العلمية.

(ز) عقول صنعتها الظنون: كم فرد منا يصدق الإشاعات حتى لو كان منبعها الأعداء أو الفاسدين ونحن كونا صورًا كثيرة خاطئة عن أفراد وأحزاب وجماعات ودول بناءً على أجزاء سمعناها وأكملنا الصورة من منابع الظن والشك والاحتمالات وكم حكمنا على رأي ومقترح بناءً على من يقوله وعلاقتنا به فإن كنا مختلفين معه فكريًا أو سياسيًا أو عرقيًا أو غير ذلك رفضنا ما يقول وكم أصحاب عقائد دينية أو علمانية اقتنعوا بها بناءً على روايات تاريخية كاذبة أو نظرة جزئية للأمور أو اقتناعات بشعارات عامة جميلة ولا أبالغ إذا قلت أن كثيراً من العلمانيين لا يعرفون ما هي العلمانية؟ قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ آية (١٢) سورة الحجرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

(ط) الزهد بالعلماء والحكماء: نحن من أكثر شعوب العالم زهدًا بالعلماء والحكماء والمتخصصين المتميزين وتشجيعًا للمطربين واللاعبين والممثلين، وقيل كان يعيش حكيم مع قوم عندهم ثقة بآرائهم واقتناعاتهم وحاولوا على مدى عشرين عامًا إصلاح أوضاع وطنهم ففشلوا ثم تكلم الحكيم بعد صمت طويل وقدم لهم آراء فطبقوها فحققوا نجاحات كبيرة فقالوا لماذا صمت كل هذه السنين؟. قال لو «قلت لكم آرائي لن تقبلوها لأن كل منكم مقتنع بآرائه» وقيل لرجل من قبيلة بني عبس «ما أكثر صوابكم» فقال «فينا رجل حازم (حكيم) فنحن نشاوره فكأننا ألف حازم»، إذن لنستمع لكل من عنده علم حقيقي كثير أو قليل وهذا مطلوب أيضًا من كثير من الشباب فكثير منهم يقللون من علم وخبرة آبائهم وأمهاتهم وكبار

السن من المتخصصين ويعتبرون أنفسهم أكثر تمسكًا بالمبادئ وهم قد يكونون أكثر صراحة وشجاعة ولكنهم أكثر جهلًا لأنهم ينظرون للأمور بمثالية وهم ضعفاء في علم العقائد وعلم السياسة وعلم الواقع.

(س) **غموض الخلافات:** قلت لأخ ليبرالي عنده ثقافة وخبرة وموضوعية «أرجو أن تحدد نقاط الخلاف بين الليبراليين والإسلاميين ورأيك فيها؟» وعلينا أن نعلم أن الجهل هو السبب الأول لتفرق المخلصين، والحل أن ندرس ونبحث ونتعمق علمياً ونتحاور بعد ذلك، حتى نحدد ما نحن مختلفون فيه؟ ومن معه الحق والصواب في هذا الأمر أو ذلك فبالعلم نصنع التعاون والوحدة، وبالجهل نصنع التفرق حتى لو صدقت النوايا.

(ش) **تخلف علماني:** نجد عند العلمانيين وعي سياسي وعلم في تخصصات اقتصادية وسياسية وغير ذلك ولكن جهلهم في مجال العقائد حدث عنه ولا حرج فكثير منهم يعتقدون أن الإيمان معناه الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى ولا يعلمون أن أغلبية الكفار يؤمنون بوجود الله وأن الاختلاف معهم حول صفات الله وأسمائه ولماذا خلقنا؟ وبماذا أمرنا؟ وكثير منهم يعتقدون أن العرب عاشوا منذ أربعة عشر قرناً أي منذ أسلموا في مصائب وتخلف واستبداد وفتن، وإذا نظرت وجدت غالبية من يقولون ذلك ليسوا متخصصين في علم التاريخ ومع هذا شديدين الثقة بصحة رأيهم مع أنهم لم يتعمقوا في قراءات تاريخية أو اعتمدوا كلياً على مصادر أجنبية أو نظروا للتاريخ بمثالية أو ذكروا السلبيات وبالغوا في نوعها وحجمها وفعلوا العكس مع الإيجابيات أو حملوا الإسلام انحرافات صنعها ظالمون أو منافقون أو ملاحدة ينتسبون زوراً إلى الإسلام والمسلمين فهم ضحايا

ثقافة أجنبية مشبعة بالمعلومات المزورة عن التاريخ والإسلام والواقع ومن الإنصاف أن أذكر أن لدى كثير من الإسلاميين نصيب من الجهل وخاصة في السياسة وأهمية العلوم الإدارية والمادية.

(ن) جدل الآراء: هناك من هو مقتنع بالكفاءات الوطنية ولا يرى أننا بحاجة إلى كفاءات أجنبية وسمعت عربياً يقول ليس في وطننا نقص في الكفاءات، فهناك كفاءات حتى في الطاقة النووية وأقول هذا رأي خاطئ جداً فأغلب التخصصات التي نحتاجها للتنمية لا يوجد متخصصين فيها والغالبية من أصحاب الشهادات الجامعية والعليا لديهم معرفة نظرية وخبراتهم العملية ضعيفة بل حتى الخبرات النظرية الدقيقة مفقودة وستعلمنا السلطة العلمية أين بإمكاننا الاعتماد على الكفاءات الوطنية؟ وأين نحتاج الكفاءات الأجنبية؟ أما الانشغال في مدح أو نقد الكفاءات الوطنية أو الأجنبية فهو تعامل سطحي وعاطفي مع العلم والواقع وهذا هو ما نفعله أيضاً في تعاملنا مع أغلب قضايانا العقائدية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك.

(٥) نماذج من الجهل الشبابي:

(أ) فتاة ضائعة: قالت أنا حرة ولا أحب أن يتدخل أحد في حياتي حتى أبي وأمي فلم أعد طفلة وتجدها غارقة في أمراض سرطان الإنترنت والأغاني والمسلسلات فهذا يأخذ من وقتها الكثير جدًا وهي تهمل في دراستها، ومنعزلة عن التفاعل مع أسرتها ولا تريد أن تصبح مدرسة في المستقبل، لأن لهذه الوظيفة سلبيات فهي لا تدري أن لكل وظيفة سلبيات وأن للتعليم إيجابيات كثيرة إذا عرفنا كيف نتعامل معه ولكن لا تدرك، ولم تفكر بفائدة ما تسمعه من أغاني وما تشاهده

من مسلسلات وغير ذلك ويقول العلم عليها أن ترضي ربها ووالديها وتتنازل عن بعض اقتناعاتها حتى تمشي السفينة الأسرية، فلا يوجد في قاموس الحياة أنا حرة فهناك مبادئ وعادات وواجبات كثيرة من لم يلتزم بها سيخسر الكثير ونصائح الوالدين جاءت بناءً على خبرة في الحياة فلا تقتنع بأنها على صواب في آرائها، وأقول أنقذوا شبابنا من جهل عظيم يتم حاليًا صناعته في عقولهم من خلال وسائل التواصل الحديثة ونحن عنهم غافلون فهذا الجهل أخطر بكثير من التطرف والإرهاب.

(ب) **مهندس ومغرد:** جمعني لقاء مع مهندس شاب يغرد في تويتر وبعد أن استمعت لبعض آرائه نصحته بألا يشغل نفسه بآراء جماعات إسلامية بعيدة عن الاعتدال ولا يقلل من مكانة كبيرة لبعض علماء المسلمين حتى لو كانت لهم أخطاء ومن الخطأ أن يكون الشباب عقائدهم واقتناعاتهم وأهدافهم من خلال متابعة الأخبار والإنترنت وتويتر... إلخ فلا بد من الاقتراب من أفراد مخلصين ذو تخصص وخبرة أو ثقافة كبيرة وإلا سيخطئون في أمور كثيرة أو سيتكلمون بناءً على مثالية غير موجودة وعليهم ألا يحاولوا التعمق في كثير من القضايا بل يكتفون بخطوط رئيسية، ويركزون على أن يكون لهم دور في الإصلاح فإذا تخصصوا في التخطيط أو تطوير اللوائح أو فهم الشورى أو صناعة التسامح أو غير ذلك فسيضعون أحجارًا في جبل الإصلاح.

(ج) **إسلامي ضائع:** شاب متخصص في الدراسات الإسلامية ومثقف وقرأ في التصوف والفلسفة ومهتم بآراء واجتهادات علماء ومفكرين وفلاسفة ويرى أن الإسلام يحتمل تفسيرات متناقضة بدرجة كبيرة وقال لي: «إن المرجعية التي انطلق

منها تختلف عن المرجعية التي تنطلق منها» وأقول هل في الإسلام مرجعية غير قال الله تعالى وقال رسول الله ﷺ وهل المحجة البيضاء تسمح بوجود اختلافات جذرية ناهيك عن مرجعيات متنوعة وما لم يتنبه له أن التفسيرات المتناقضة تعني لا توجد مبادئ إسلامية في كثير من الأمور، فهذا يفسر آيات أو أحاديث كما يشاء أو يقبل آراء واجتهادات خاطئة لعلماء مسلمين أو متصوفة أو فلاسفة وتتجسد المرجعية الإسلامية بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وهذه أمور متوفرة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهم ولا توجد اختلافات جذرية بين الصحابة أو بين علماء المسلمين الكبار مثل ابن عباس وأبو حنيفة والحسن البصري ومالك والشافعي وابن حنبل وابن القيم والشعراوي والألباني وابن عثيمين وغيرهم وأنبه هنا إلى قضية هامة جدًا وهي أن المسلمين هم أصحاب فكر وعقيدة ومبادئ ولا يعطون اهتمامًا كبيرًا لآراء واجتهادات وتفسيرات بشرية ومنهجهم كل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر أي الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يوجد صحابة يتبعون ويقلدون أبو بكر وآخرين عمر وهكذا، ومن الأخطاء الكبيرة التي لدى كثير من الشباب الباحثين عن الحق هو السماع من طرف واحد ورؤية العالم من خلال مرجعية دينية خاطئة أو علمانية فاشلة.

(٦) **التصفيق للجهلاء:** كم صفقت شعوب أو فئات شعبية لحكام أو معارضين أو مثقفين أو مغردين أو غير ذلك وهم يقودونهم للجهل والضلال والأخطاء وشاهدنا بأعيننا حكام صفقت لهم شعوبهم فقادوهم إلى أنواع من المصائب والفشل الفكري أو السياسي أو الاقتصادي أو الأمني... إلخ وعرفت معارض سياسي له معجبيه يبدو كلامه مقنعًا وجميلًا وعلميًا وممتلئ وطنية وهو صادق

ولكنه جاهل في التشخيص والتنفيذ وثبت فشله عندما أعطي له منصب وزير ومع هذا نجح في تبرير محدودية نجاحاته أو أسباب فشله لأنه يجيد إلقاء اللوم على هذا الطرف أو ذاك ولكنه لا ينسب أهم أسباب فشله إلى جهله، ومن لديه علم بواقع الوزارة ناهيك عن العلم الفكري يعلم أنه جاهل يجيد فقط صياغة الكلام الجميل، وهناك مسئول إذا تكلم تكاد تصفق له فهو جاد ومخلص ودكتور ولكن فاشل كقيادي ولديه اعتزاز كبير بآرائه فلا يأخذ برأي المتخصصين وإذا أخذنا آراء مفكرين وسياسيين ينتمون لأحزاب أو اتجاه أو شعب أو جماعة أو غير ذلك وتم تقييمهم بميزان العلم والحوار العلمي والمحاكمات العلمية لثبت أن لدى كثيراً منهم أخطاء كبيرة فهذا على سبيل المثال مفكر إسلامي معتز بآرائه لدرجة أن لا يريد الحوار مع من يخالفونه من الإسلاميين إذن لا بد من إعلان محاكمات واستجوابات علمية لكثير من العلماء والمتخصصين والمسئولين فهناك أنواع خطرة من الجهل تعيش في عقولهم وسئل عالم مسلم هل هناك أخطر من الجهل؟ قال «نعم الجهل بالجهل» وقال أحد الغربيين «المعرفة القليلة أخطر من الجهل» وكثيرًا ما يدخل الجهل إلى عقولنا من أبواب العقائد والمبادئ والمفاهيم الخاطئة للحرية والعدل والمساواة ومن أبواب الإدارة والسياسة والتربية... إلخ فهذه العلوم تبدو سهلة وليست بحاجة لمتخصصين ونظن أننا نعرف الحق والصواب فيها من الباطل والخطأ فكثير من العلمانيين وغيرهم لا يعرفون أن هناك علم فكري وجهل فكري فالعلم الفكري أنواع منه علم الإيمان وعلم العدل وعلم الحرية وعلم الحقوق الزوجية وعلم التربية وعلم التسامح وعلم المال وعلم العبادة... إلخ ومن لا يعرف هذا العلم سيتكلم بناءً على الظنون والآراء والتجارب الشخصية وسيخطئ كثيرًا ويصيب قليلًا وسيجد من يصفق له بل يعتبره مفكرًا.

(٧) **جهل المتخصصين:** سمعت من طبيب متميز ومتخصص في الكلى نقدًا شديدًا لآراء بعض الأطباء في مجال تخصصه فقلت في نفسي إذا كانت دراسة الطب مع التخصص تأخذ حوالي عشر سنوات أو أكثر ومع هذا نجد أطباء يرتكبون أخطاء كبيرة وهم فيهم مستويات من العلم والجهل فما بالك بالمتخصصين في مجالات فكرية وسياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وهندسية وغير ذلك وكل ما عندهم هو دراسة لمدة أربع أو خمس سنوات ومن جامعات عادية ولم يبذلوا جهودًا كبيرة في الدراسة والتعلم بعد الانتهاء من الدراسة إذن هناك جرعات كبيرة ناقصة في عقول كثير من المتخصصين حتى يصلوا للحد الأدنى من العلم الذي يحتاجونه فالعلم كبير ومعقد ومتشعب وهذا يعني أن هذا النقص سينتج آراء خاطئة عند كثير من المسئولين أو المستشارين أو المتخصصين ولا أبالغ إذا قلت أننا نتعامل مع شهادات علمية ناقصة ومتخصصين ليسوا متخصصين أي نعيش نوع من التزوير العلمي الذي لا يراه كثيرون، وكم شاهدت من متخصصين متميزين أثبتوا إخلاصهم واجتهادهم ولكن عندهم أخطاء علمية قاتلة أغلبها ليست في مجال تخصصهم، فهذا يعرف أهمية العلوم المادية ولا يعرف أهمية العلوم الفكرية أو العكس، وهذا يدرك أهمية الإصلاح الحكومي ويجهل أهمية الإصلاح الشعبي أو يقلل من أهميته، وكم شاهدت من أخطاء قاتلة في موضوعين أساسيين جدًا تخصصت بهما وهما التخطيط وإدارة العلم والتقنية، ولا أبالغ إذا قلت أن كثيراً من أشهر المصلحين لا يعرفون أهميتهما، وقد يقول بعضهم لقد شاركنا في إعداد خطط وأقول هذا صحيح ولكن قد يشارك معلم لعقود في التدريس وهو لا يتقن هذا العمل أي أنه يعمل بصورة خاطئة فخبرته كاذبة وبعض هؤلاء أذكياء ولكن

اقتناعهم بآرائهم مشكلة كبيرة وصعب أن نعالج أخطاء هؤلاء فردًا فردًا وكلهم ليسوا مقتنعين أن عندهم أخطاء علمية خطرة ووجود سلطة علمية سيؤدي إلى قبول كثير إن لم أقل كل الآراء والمقترحات الصحيحة وإلى رفض الآراء الخاطئة ولن يقول هؤلاء نحن أعلم من مئات المتخصصين المتميزين، وغياب المرجعية العلمية البشرية المتميزة جعل كثيرون يعتقدون أنهم علماء متميزون وأن ما يقولونه صواب ومقنعًا وعندهم أدلة به والأمر ليس كذلك.

(٨) **جهل المؤسسات:** لا شك أن كثيراً من الوزارات والمؤسسات والشركات العربية حققت نجاحات فقد عاش الوطن العربي تطورات كبيرة في العمران والصناعة والزراعة وغير ذلك مقارنة بما كانت الأوضاع عليه قبل نصف قرن ولكن عندما أصبحت الأمور أكثر تعقيدًا من بناء مدارس ومستشفيات وهيئات... إلخ وأصبحنا بحاجة إلى قفزات تنموية، وأصبحنا نواجه مشاكل البطالة والإسكان وازدحام السيارات وضياع الشباب وغير ذلك، وجدنا عجز كبير في القدرات العلمية لكثير من الحكومات والمؤسسات والشركات حتى لو كانت أكثر خبرة وعلمًا من غيرها في مجال تخصصها، ولكن رصيدها العلمي أقل بكثير من الرصيد المطلوب وضعفت قدرة المستشارين الأجانب على مساعدتهم في القضايا الكبيرة، فهناك تشابك في التخصصات وواقع تنقصه الكثير من الدراسات العلمية وهناك مصالح متصادمة وقوى مؤثرة وإمكانيات مجهولة وغير ذلك ولم تعد تنفع سياسة الترقيع، وفقد الكثيرون القدرة على بناء خطط ناجحة وهذا لم يمنع وجود اقتناع خاطئ بأن عندنا خطط ناجحة لأن من ساعدنا في إعدادها خبراء أجانب ولأنها نالت موافقة جهات عليا أغلبها لا يملك الكفاءة العلمية للتقييم فيوافق لأنه لا

يعلم ومن أهم الأدلة على الضعف العلمي للمؤسسات أيًا كان نوعها أن الخطط والقرارات تتأثر كثيرًا بتغير المسئول الأول ولا زالت آمال العرب معقودة على أن هذا المسئول الجديد حاكمًا أو وزيرًا أو مديرًا سيحقق الكثير ويستمر المسلسل المكسيكي وبالتأكيد قد يحقق هذا أو ذاك بعض النجاحات هنا أو هناك ولكن المطلوب أكبر من ذلك بكثير فنحن بحاجة إلى قفزات نوعية وكبيرة على مستوى الدولة والقطاع والوزارة والمؤسسة والشركة فنحن لا نريد تقييم أفراد بل تقييم مؤسسات وقطاعات ودول.

(٩) **الجهل الشعبي:** من باب الإنصاف أن نحمل الشعوب جزء من الجهل الموجود ولا نكتفي بجهل الحكومات والمؤسسات والمتخصصين، ومن الجهل الشعبي الظن بأن أغلب أوراق الإصلاح والتطور بأيدي الحكومات وليست الشعوب ومنه عدم إدراك أهمية الإيمان والصلاة والتخطيط والعمل الجماعي والعدل والعمل التطوعي والتفاؤل والاجتهاد في العلم والعمل والاحتكام إلى العلماء والمنخصصين... إلخ وكم من مدن عربية لا تجد عند أهلها نشاط علمي شعبي لتطوير مدينتهم مع أن بإمكانهم تحقيق الكثير من المشاريع التطويرية وكثير منها مشاريع صغيرة فكل فلسفتهم قائمة على انتظار أن تقدم الحكومة لهم المشاريع ولهذا يطول انتظارهم ولو نظرنا فقط إلى الموقف الشعبي العربي من ممارسة الرياضة ومن التعامل مع الأكل لوجدنا أنه تسبب في أمراض كثيرة كأمراض القلب والسكري والسمنة والكسل وحدث ولا حرج عن ضعف المستوى العلمي لكثير من المهندسين والمعلمين والمزارعين والمدراء... إلخ وقليل جدًا منهم بكفاءة نظرائهم في الغرب وتوصل السودان في سنة ٢٠١٦م إلى توقيع وثيقة وطنية جاءت بعد حوار وطني عميق بين

كل أطياف الشعب استمرت عدة سنوات وتم الاستعانة بالعلماء والمتخصصين في الاستشارات وإعطاء محاضرات وغير ذلك مما ساهم في زيادة علم أطراف الحوار الشعبي واتفاقهم على كثير من القضايا.

(١٠) **الجهل الإداري العميق**: قد ينصحنا خبير إداري بأننا إذا أردنا تحقيق التطوير الإداري فعلينا الاهتمام كثيرًا بالتخطيط ووضع لوائح إدارية تنظم العمل وتحدد المسئوليات والصلاحيات وقد يوصينا بالعمل الجماعي ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب وإيجاد حوافز كبيرة وعقوبات فعالة وزيادة ميزانية التدريب وغير ذلك وأقول ما قاله صحيح ولكننا بحاجة إلى آلاف الدراسات النظرية والميدانية حتى نعرف تفاصيل هذه الأمور، وكيف نحققها فواقع الوزارات والمؤسسات فيه اختلافات كبيرة ونحن بحاجة أن نعرف كيف نخطط؟ وما هي الخطط الموجودة؟ وما هي نقاط قوتها وضعفها؟ ومن هم المؤهلين في هذه الوزارة أو تلك المؤسسة للقيام بالتخطيط؟ ونحن لا نعرف كيف نكتب اللوائح الإدارية الجيدة؟ ولا نعرف كيف نتقدم خطوات في العمل الجماعي؟ وليس عندنا متخصصين به أو بالاتصالات أو بالمعنويات أو غير ذلك إذن العلم الإداري عميق وشامل ومتشعب ومتداخل مع غيره، وهناك تأثير للنوايا والسياسة والعقائد والمصالح في العمل الإداري علينا أن نفهمها، وإذا أضفنا إلى ذلك تناقضات كبيرة في صناعة التطوير الإداري بين المتخصصين والاعتماد على النصائح والتوصيات العامة محدودة الفاعلية، ولا يعني أننا نعرف كيف نحقق التطور الإداري ولهذا فشلت أغلب دولنا في تحقيق إنجازات إدارية حقيقية وما ينطبق على المجال الإداري ينطبق أيضًا على المجال العقائدي والسياسي والاجتماعي والزراعي والسياحي والصناعي وغير ذلك، وأدعو

دائمًا إلى طرح أسئلة عميقة حتى نعرف خطأ الاكتفاء بعلم عام أو جزئي أو نظري أو عملي وحتى ندرك أن عندنا رصيد علمي ضعيف يصعب تحويله إلى واقع وتنمية وتطور وأتمنى أن نهتم بالدراسات الميدانية أي علم الواقع في كل المجالات، فالبناء العلمي يقوم على العلم النظري الفكري والمادي، وعلى علم الواقع وعلى عقول تفكر بطريقة صحيحة فمن هذه الأعمدة الثلاث إن كانت قوية وكبيرة يمكن بناء التنمية أو وزارة أو مؤسسة، ولهذا نحتاج سلطة علمية بمعاهد كبيرة ومتخصصة ونحتاج معاهد حكومية وخاصة كثيرة وهي من ستؤيد أو ترفض أو تصحح ما يوجد لدينا من آراء ومقترحات و«علم» وعقائد لأنها ستتعمق كثيرًا في كل الآراء المتناقضة إذن لا بد من التعمق والتفصيل والمعلومات الكثيرة والمناقشات العلمية حتى نرتقي علميًا ولهذا نجد في الغرب مئات المعاهد والمراكز البحثية وأضعاف ما عندنا من العلماء والمتخصصين وعندهم أنظمة معلومات متطورة وميزانيات ضخمة للبحث العلمي وأنظمة تعليم وتدريب متطورة إذن العلم ليس علم جزئي وصغير وليس عموميات أو شعارات أو أهداف جميلة أو معاهد هزيلة.

(١١) **نوعية المسئولين:** هل المخلصين من المسئولين مجتهدين في الإصلاح أم أن كثيراً منهم يتخبطون في قراراتهم أو ليس عندهم المؤهلات المطلوبة فهذا يائس والثاني كسول والثالث مستبد والرابع متمرد والخامس ضعيف والسادس عنيد....الخ وغالبيتهم الساحقة لم يؤهلوا تأهيلاً كافياً في مجالات التخطيط والإدارة وتطوير العاملين وتجد منهم من لا يهتم إلا بعمل إدارته ولا علاقة له بالشأن العام في المؤسسة، وعلى سبيل المثال تجد المسؤول الأول عن البحث العلمي في الجامعة مهتم فقط بأبحاث الجامعة ولا يهمه عالم البحث العلمي الوطني

وهو لا يعلم أن نصف المشاكل التي يواجهها ستحل إذا كانت هناك خطة صحيحة للبحث العلمي على مستول الدولة، إذن من الخطأ الانتظار حتى يتطور كل هؤلاء أو أغلبهم ولابد من وجود سلطة علمية تدفعهم للعلم والعمل وتساعدهم في اتخاذ القرارات والخطط.

(١٢) **حوار الطرشان**: هناك حوارات قليلة بين المختلفين في آرائهم الفكرية أو السياسية أو الإدارية أو العلمية أو غير ذلك وأغلبها حوارات سريعة وأغلب المتحاورين ليسوا متخصصين في موضوع الحوار وحتى المتخصصين يفتقدون في أحيان كثيرة دراسات علمية تؤيد وجهة نظرهم وهناك من يتكلم بهدف تشويه الحقائق أو الانتصار على الخصوم وليس للوصول للحقائق وهذا كله ليس حوارًا علميًا بل جدل، فالحوار العلمي له مواصفات من أهمها أن يكونوا مخلصين ويلتزمون بآداب الحوار قال الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (آية ١٩٩) (سورة الأعراف) والأرض العربية متشبعة بالقطيعة والانعزال وأدعو بشدة إلى حوارات علمية وعميقة وطويلة بين الإسلاميين والعلمانيين وبين الإسلاميين والليبراليين وبين الحكومات والمعارضة وبين المسلمين والمسيحيين وبين السنة والشيعة وبين الأعراق المختلفة وبين القطاع الحكومي والقطاع الخاص... إلخ فالعلم هو سلاح محاربة الجهل والاختلافات وأدعو المخلصين لأن يقتربوا من بعضهم ويتحاورون حتى يزيد رصيدهم العلمي من الحقائق النظرية والواقعية ففي عقول الكثيرين تراكمت معلومات كثيرة خاطئة أوفهم خاطئ وهذا أمر حدث لعقود فمن الصعب التخلص منه في حوار قصير، وقال دكتور سعودي قبل أكثر من عشرين عامًا «هناك ثلاثة مشاكل يواجها العرب وهي ضعف الاتصالات وضعف

الاتصالات وضعف الاتصالات».

(١٣) **كن صالحًا:** هناك أمر هام في علاقتنا مع العلم الفكري وغيره من العلم ويغفل عنه كثير من الناس وهو هل نوايانا ونفوسنا تستحق العلم والنجاح والتقدم أم لا أي أعمى الله البصائر قال الله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (آية ١٧٩) سورة الأعراف فكم من نبي أبلغ قومه الرسالة الصحيحة أي العلم الفكري فلم يقبلوه وشككوا في صواب ما يقول ولهذا مهما نصحت زنادقة وملاحدة فقليل منهم الذي يهتدي بل حتى استجابة المتمادين في المعاصي تكون قليلة قال الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ (آية ٥٦) سورة القصص وقال الله تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٦)﴾ (سورة المؤمنون) وقد تكون النصيحة في مجال دنيوي يتعلق بالعمل أو الدراسة أو الزواج أو الاستثمار أو غير ذلك فلا تقبل النصيحة مع أن من يقولها صاحب خبرة وإخلاص فهذا يرفض النصيحة في الاجتهاد في العلم والثاني يرفض النصيحة في الاقتصاد في المال، والثالثة زوجة تتمرد على نصائح زواجها فيهجرها أو يطلقها، والرابع شاب تعب أبوه من نصحه وهناك حكام نصحوهم عقلاء فلم يسمعوا لنصائحهم وظنوا أنهم على حق فأضروا أوطانهم كثيرًا. وفي المقابل هناك من يقبل النصيحة وتثمر معه حتى لو جاءت من فرد لا يعرفه وأولى الناس بقبول نصائحهم هم علماء الإسلام والآباء قال رسول الله ﷺ «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه»

إذن علينا أن نصلح من نوايانا وأعمالنا حتى تكون نفوسنا صالحة لاكتساب العلم والأعمال الصالحة، ومما يروى أنه قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله»من نسأل بعدك؟» فقال «اسألوا عبد الوهاب» قالوا «ليس له نصيب كبير من العلم» فقال «هو رجل صالح ومثله يوفق للحق» ومثل هذا يقال عن الخير فكم من مال كثير ليس فيه بركة ومنافع للناس وكم من غني أشقاه ماله وكم من مال قليل يكفي صاحبه ويفيد الناس ونجد أب لديه أبناء ليس فيهم واحد بار وتجد مشاكلهم كثيرة وتجد من عنده ابن واحد بار بوالديه قال الله تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (١٩٦) متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد (١٩٧)﴾ (سورة آل عمران).

(١٤) **الأعداء والفاسدين:** كثيرًا ما ينسب العرب والمسلمون تخلفهم إلى وجود أعداء أو فاسدين من بني جلدتنا، وأقول صحيح هناك أعداء وفاسدين ولكن أكبر أعداءنا هما انخفاض درجة إخلاصنا وجهلنا فلنحاول إصلاح نوايانا ونجعل أعمالنا خالصة لله سبحانه وتعالى ولنعلم أن الأعداء والفاسدين استفادوا كثيرًا من جهلنا العقائدي والسياسي والاقتصادي والإعلامي والإداري والتعليمي... إلخ فكثيرًا ما كسبوا معاركهم معنا لأنهم خدعونا بألاعيبهم السياسية أو شوهوا المخلصين بوسائل إعلام عربية وأجنبية إلى درجة أن حروبهم العسكرية هي فعلًا قليلة وكثيرًا ما عجزنا عن الاستفادة من نقاط ضعفهم وما أكثرها وعجزنا من الاستفادة من نقاط قوتنا وإمكانياتنا وما أكثرها، فالمعركة هي معركة علمية أي معركة وعي وذكاء وتفكير ودراسات علمية وعلماء ومتخصصين وجعلنا الجهل الاقتصادي فقراء ومرضى وجعلنا الجهل التعليمي نخسر مليارات من الدنانير بلا فائدة علمية وهكذا ولنفترض أن عدوك أسد فإن كنت قادر على صناعة السلاح

أو استخدامه وعندك معلومات كثيرة عن الأسود فمن السهل قتل الأسد أما إذا كنت بدون سلاح أو لا تعرف كيف يتصرف الأسد أو كسول أو يائس أو غير ذلك فلن تنتصر، ولو قيل لي ما أهم أسلحة الأعداء الفاسدين لقلت الدعاية السوداء التي نجحت في تضليل كثير من عقولنا فانهزمنا قبل أن تبدأ الحرب ولهذا تجدهم يحاربون بشدة أي حريات رأي وأي ديمقراطيات حقيقية.

باحثون وأساتذة جامعات

تعالوا لنسلط بعض الأضواء على أهل العلم من متخصصين وباحثين وأساتذة جامعات حتى نقتنع بأننا بحاجة فورًا إلى جهود ذاتية منهم لتطوير أنفسهم وجامعاتهم ومعاهدهم، وبحاجة أيضًا إلى معهد للعلم والبحث العلمي في السلطة العلمية يشارك في عملية تطوير الجامعات والمعاهد العليا والبحث العلمي وبالتأكيد أن هناك جهود فردية وانفرادية كثيرة حاولت الإصلاح وحققت بعض النتائج ولكن لمرارة الأوضاع فقد الكثير منهم حماسهم وأخذوا يتذمرون ويصمتون وقبلوا بما هو موجود، وأقول الخيار الوحيد هو أن ننهض مرة أخرى ونحقق إنجازات صغيرة وكبيرة ونتقن فنون العمل الجماعي وتعالوا نتطرق لموضوع الموارد البشرية وعلاقتها بالعلم من خلال النقاط التالية:

(١) **كفاءة الباحثين وأساتذة الجامعات:** قال مسئول جامعي «إن كفاءة ٩٥٪ من أساتذة الجامعات ضعيفة» وأقول بالتأكيد أن نسبة من حصل من أساتذة الجامعات على شهاداتهم بجد واجتهاد أكبر من ٥٪ بكثير ولكن هناك قيود وصعوبات داخل الجامعات والمعاهد أدت إلى تدني الإنتاجية كمًا ونوعًا وأدرك كثير من المسئولين وغيرهم ضعف كفاءة أساتذة الجامعات فقد استعانوا بهم في استشارات ولجان وثبت أن كفاءتهم ضعيفة ومعرفتهم بالواقع محدودة وليس غريب أن نجد مهندس ذو خبرة خمس سنوات في القطاع النفطي أكثر علمًا بالواقع الصناعي النفطي من أستاذ جامعي لديه خبرة عشرون عامًا في تدريس هندسة النفط وليس مقبول من الباحثين وأساتذة الجامعات أن يجعلوا القطاع التنموي حقول تجارب يتعلمون فيها لأن المفروض ألا يقدموا آراء ويشاركوا في

التطوير إلا بعد أن يكونوا مؤهلين لذلك، وإذا كان أساتذة الجامعات قد عجزوا عن تطوير جامعاتهم فهل سيكونوا قادرين على المشاركة في تطوير القطاع الإداري أو الصناعي أو الاقتصادي أو التعليمي أو غير ذلك؟ إذن نحن بحاجة إلى أن نبدأ بإصلاح القطاع العلمي وأن يقود عملية الإصلاح المتخصصون في التخطيط والإدارة وليس أساتذة الجامعات فمشكلة الجامعات في أغلبها مشكلة تخطيطية وإدارية ولنعلم أن الشهادات الجامعية والإخلاص لا يكفيان وحدهما وأن كثيرًا من الأكاديميين أضرونا في أحاديثهم وآرائهم في الإصلاح والتنمية فأفسدوا أكثر مما أصلحوا، ومن الضروري جدًا أن توجد حوافز إيجابية وسلبية تدفع الجميع على التعلم والتطور، ومن الحوافز السلبية توجيه أسئلة مفصلة لمن يتصدرون للقيادة العلمية أو التنفيذية حتى نقنعهم بأن رصيدهم العلمي الحقيقي وليس شهادتهم أو أقدميتهم هو أهم شروط وصولهم للقيادة العلمية أو المناصب أو بقاءهم فيها.

(٢) أساتذة خياليون أو سلبيون: قال باحث عربي في مؤتمر علمي «لماذا نفشل كعلميين في إقناع السياسيين»؟ فقال باحث تركي «أنكم بحاجة لتوظيف سياسيين ليقوموا بهذه المهمة» وأقول هذا صحيح فكثير من العلميين يفشلون في إقناع المسئولين لأنهم لا يعرفون الواقع الذي يعيش فيه المسئولين ولأنهم لا يرون إلا اللونين الأبيض والأسود فهم يتعاملون بمثالية وخيالية ويعتبرون آراءهم هي آراء علمية في حين أن العلم الصحيح يتعامل مع الواقع ويرى ألوان رمادية كثيرة ومن يده في النار ككثير من المسئولين ليس كمن يده بالماء ومعنى الواقعية رؤية المصالح والتناقضات والتدرج والقوى المؤثرة والوصول إلى حلول وسط حتى يمكن التفاعل مع الواقع والتأثير به، وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه «ليس العاقل الذي يعرف

الخير من الشر ولكن العاقل الذي يعرف خير الشرين» فكثير ما تكون المقارنة بين حل مر وآخر أكثر مرارة وليس معنى الواقعية الاستسلام للظلم والأخطاء، بل معناها إدراك أن البشر غير مثاليين، وأن هناك ظروف وإمكانيات وصعوبات وضرورة قبول الحل من عدة أطراف حتى يمكن تطبيقه ومن أسهل الأمور ما فعله كثير من الأساتذة والباحثين ممن اعتقدوا أن دورهم انتهى بتقديم نصائح أو مقترحات عامة أو مثالية للمسئولين، وقالوا «لقد قمنا بواجبنا وقدمنا النصيحة والحل أن ننتظر أن يأتي مسئولون يأخذون بما قلنا» وطال انتظار هؤلاء كثيرًا ولم يتغير شيء وهؤلاء السلبيون والخياليون هم فعلًا جزء لا يتجزأ من التخلف في حين أنهم يظنون أنفسهم مصلحين فلا توجد مثالية في مجتمعنا أو المجتمعات المتطورة وما أسهل إلقاء اللوم على هذا الطرف أو ذاك وسيستمر هؤلاء بالانفصال عن الواقع والسلبية والتشاؤم والإحباط لأنهم يشعرون كأنهم يؤذنون في مالطة، ولكن الخطأ منهم لأنهم لم يدركوا أن التعامل مع الواقع بحاجة إلى علم ومعرفة وصبر ومهارات معينة قال رسول الله ﷺ «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». وقال مغترب عربي: «لن نعود إلى العالم العربي إلا إذا كانت هناك عدالة وديمقراطية» فقال له أحد المشاركين من المقيمين «إذا حققنا ذلك فلا تعودوا لأننا لا نحتاجكم» إذن لينطلق كل باحث وأستاذ جامعة صادق في انتمائه ليتخصص في إتقان خبرات واقعية في مجال تخصصه أو في مجال مقتنع بأهميته وعالم العلم بحاجة إلى الابتسام والتفاؤل وأخذ المبادرات والجرأة والصبر وقبل ذلك كثير من القراءة والتشاور والدراسات.

(٣) **علماء وهميون**: إذا كان كثير من العلماء المتخصصين في عالم العقائد

والمبادئ الدينية والعلمانية ليسوا علماء حتى لو أطلق عليهم البعض هذا المسمى وحتى لو كانت عندهم شهادات عليا وخبرة طويلة، فالعلماء هم من عندهم علم حقيقي لا مبادئ خاطئة وهناك علماء يعرفون الحق ولكنهم يخالفونه مثل وعاظ السلاطين ومستشارون ينافقون المسئولين وأساتذة جامعات يبيعون ولاءهم لمن عنده سلطة أو مال وقيل قديمًا «قل لمن لم يخلص لا تتعب» ولو كان عند هؤلاء علم لأدركوا أن ولاءهم يجب أن يكون لله سبحانه وتعالى، وأن الله هو من يملك الخير والصحة والرزق والأمن... إلخ فهم يطلبون الدنيا ممن ليس يملكها ومن الفساد أن يعيش العالم والمتخصص والباحث في حدود وظيفتهم وهؤلاء كثيرون فلا يهمهم إلا المنهج أو أبحاثهم فكل القضايا العامة لا علاقة لهم بها حتى لو كانت داخل إداراتهم ناهيك عن الجامعة والمعهد والوطن فهم صامتون صمت القبور فتجد أستاذ جامعي في القانون لا يتحدث عن الرأي القانوني في قضايا وطنية ويقول لم يطلب منا رسميًا الرأي العلمي ومثل هذا يفعله مستشارون ومتخصصون وحتى في القضايا التي لا علاقة لها بالسياسة وما أكثرها تجد دورهم الإصلاحي غائب ولا يتكلمون إلا إذا وجدوا من يطلب منهم ذلك أو يدفع لهم الثمن فكان العلم ليس أمانة، وتجد أن صمت هؤلاء وسلبيتهم تختفي فجاءه إذا تعلق الأمر بظلم تعرضوا له أو مصلحة لهم في منصب أو احتاج أبناءهم إلى واسطة أو رشحوا أنفسهم للانتخابات فإنهم يدخلون على الوزير ويكلمون النواب ويستخدمون وسائل الإعلام وغير ذلك ليحققوا مصالحهم أما مصالح مؤسساتهم أو وطنهم فلا يتحركون لها وصمت هؤلاء ساهم في ضياع كثيرون وافتقد كثير من الشباب من يعلمهم ويزيد وعيهم لأن هؤلاء يكتمون العلم ولهذا نجد حركات شبابية تمتلئ غضبًا وجهلًا ومثالية وتساهم في تعقيد الأمور.

(٤) **أساتذة ملوثون:** سأل أحد الصحفيين مؤسس سنغافورة «لي كوان» ما هو الفرق بين سنغافورة ودول العالم الثالث الآسيوية؟ أجاب لي كوان: «هو أننا نبني المكتبات ودور البحث العلمي وهم يبنون المعابد ونحن نصرف موارد الدولة على التعليم وهم يصرفونه على السلاح ونحن نحارب الفساد من قمة الهرم وهم يمسكون اللصوص الصغار ولا يقتربون من المفسدين الكبار» وأقول بعض كلامه صحيح أي علم وبعضه خطأ أي جهل فالصرف على المساجد مهم جدًا ولا يتعارض مع الصرف على البحث العلمي فنحن خلقنا لعبادة الله وأغلب الدول بحاجة للسلاح لحماية نفسها أما سنغافورة فدولة صغيرة ويكاد أن لا يطمع بها أحد إذن كثير من ذوي العلم والخبرة من علماء ومفكرين وسياسيين وفلاسفة وغيرهم يعطوننا علمًا مخلوطًا بجهل، فكم تكلم هؤلاء عن الإيمان أو العدل أو الحرية أو الإصلاح أو القيادة أو التاريخ أو الواقع... إلخ فأعطونا كلامًا صحيحًا وآخر خاطئًا وكم ناصحين مثل «لي كوان» أخذ الناس يقبلون كل أو أغلب كلامهم وبالتأكيد أن سنغافورة حققت نجاحات كبيرة ولكنها متخلفة عقائديًا واجتماعيًا فكل همها هو الاقتصاد، وهناك مثقفين عرب أزعجونا بآراء خاطئة في الإصلاح والواقع العربي وغير ذلك والحل هو إيجاد سلطة علمية بها معاهدة متخصصة تقرأ ما قاله العلماء والمفكرون وما في الواقع من معلومات وما في العلوم الفكرية والمادية من حقائق ويصنعون من كل ذلك خرائط طريق للإصلاح والتنمية ويقبلون الصحيح من الآراء ويرفضون الخاطئ منها. فلا للقيادة العلمية الفردية والانفرادية لأنه سيكون فيها أخطاء جذرية وهذا يفسر فشل كثير من الجهود الإصلاحية لأنه إذا كان فيها أجزاء من الصواب ففيها أجزاء من الخطأ.

(٥) أولويات العلماء والمتخصصين: لو قيل لي ما الذي يشغل نسبة كبيرة جدًا من العلماء والمتخصصين وأساتذة الجامعات والباحثين؟ لقلت لا شيء أو أمور هامشية أو أبحاث لا علاقة لها بالواقع أو تخصصات فائدتها للتنمية محدودة وهذا يعني أن الموارد العلمية العربية المحدودة يضيع نصفها على الأقل بلا فائدة للعلم أو التنمية، وعلى سبيل المثال اقرأوا عناوين ومحتويات الأبحاث والدراسات العلمية العربية وستجدون أبحاث هزيلة وهامشية لا علاقة لها بالتنمية قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «لا أحب الكلام فيما ليس تحته عمل» فهؤلاء طلبة دراسات عليا مشغولين بأبحاث سهلة تحقق حصولهم بسرعة على الشهادة العلمية أو مشغولين بتنقيح كتب إسلامية قديمة أو التاريخ القديم أو أبحاث صناعية لا علاقة لها بالصناعة الوطنية أو في أبحاث حديثة لا ناقة لنا فيها ولا جمل ولا قدرة حتى على تقديم تطوير حقيقي فيها، ونحن بحاجة أن ندرس الحاضر والمستقبل لا التاريخ، وبحاجة إلى إتقان علم التخطيط لا علم الموسيقى والغناء والديكور، وبحاجة إلى التفكير في مشكلة البطالة لا هموم الأغنياء، وبحاجة إلى دراسات علمية تطور الواقع المحلي لا المشاكل الإدارية في الولايات المتحدة، وبحاجة إلى وضع برامج لتطوير شباب القبائل لا أبحاث عن أصول وتاريخ وأشعار القبائل إذن نحن بحاجة إلى ثورة علمية في ترتيب الأولويات في قطاع الأبحاث وتأليف الكتب ونشر الوعي العلمي ومواضيع التعليم والتدريب والمؤتمرات والمحاضرات والعمود الفقري لهذه الثورة هو مدى ارتباطها باحتياجاتنا الرئيسية للأفراد والأسرة والمؤسسات والمجتمع.

كيف نتطور؟

يظن البعض أن الإصلاح والتطور سيتحقق بمرور السنين وقال دكتور عربي «نحن نسير في الطريق الصحيح فأنا أجد في طلبتي شباب مجتهد ومتميز» وقال آخر «لنكن متفائلين فقد زادت عدد الجامعات العربية من سنة ألفين حتى الأن (٢٠١٦)» وأقول بالتأكيد أن هناك إيجابيات كثيرة تحدث كل يوم ولكن هذا لا يعني أننا نسير في الطريق الصحيح فلا زالت هناك مشاكل كبيرة وسلبيات جديدة ولن أبحث في كيفية تطور الأفراد والشعوب والدول؟ ولن أحاول أن أعطيكم إجابات لأسئلة حول مشاكلكم وقضاياكم واختلافاتكم؟ ولن أناقش مقترحات قدمها مفكر أو متخصص أو مسئول أو معارض أو تاجر أو مثقف أو غير ذلك؟ ولن أقرأ لكم بعض تجارب الدول التي حققت تقدمًا في العلم والتنمية؟ ولن أتفق أو اختلف مع من يقول أن الأولوية في التقدم لتطبيق القانون على الكبير والصغير أو لتطوير التعليم أو الرجوع إلى الإسلام أو للديمقراطية أو للتربية أو للأخلاق أو الثقافة أو إعادة صياغة العقل العربي أو للسلام أو للانقلابات العسكرية أو الثورات الشعبية أو غير ذلك؟ بل سأقول حولوا كل هذه الملفات وغيرها إلى السلطة العلمية ليقوم العلماء والباحثون والمتخصصون المتميزون بعمل الدراسات العلمية النظرية والميدانية التي تشخص أوضاعنا وتضع الحلول والأولويات، فالقيادة العلمية يجب أن تكون من مسئولية العلماء والمتخصصين وعلينا نحن القيادة التنفيذية والتنفيذ ونعرف أن للسلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية قوة ونفوذ وكذلك للمال والشعبية والعلاقات ولكن لا نجد قوة للعلم والعلماء وغالباً ما يكونوا في الصفوف الخلفية في صناعة القرارات والخطط، وقال لي وزير عربي «إذا احتجنا

للمستشارين سألناهم» وأقول هذه هي المشكلة أي الاستعانة بالعلم وبالمستشارين بصورة جزئية ومؤقتة وليست شاملة ودائمة وتذكروا دائماً أن موسى عليه السلام كان شديد الثقة بآرائه وأدلته قوية فعلاً ولكن أخبره الخضر عليه السلام أنها خاطئة لأن الخضر أعلم منه، وسأحاول في النقاط التالية تسليط الأضواء على أمور هامة في موضوع التطور وهي:

١) ثورة علمية في الجامعات:

(أ) قال لي دكتور عربي أن اللوائح تفرض علينا شروط الترقية وأقول وتفرض عليكم نظام فاشل للبحث العلمي ومقررات جامعية محدودة الفائدة وغير ذلك ومسئوليتكم أن تغيروا ذلك وليس صحيح أبداً أن الإصلاح والتطوير هو فقط مسئولية المسئولين في الجامعة والحكومة إذن لابد من العمل الجماعي الحقيقي والاستعانة بالمتخصصين وخاصة في مجال الإدارة والبحث العلمي وتطوير التعليم أما أسلوب اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون فقد جربناه عقود ولم ينفع ويمكن اعتبار الجامعات والمعاهد العربية نموذج مثالي للعمل الفردي والانفرادي والسلبية والعزلة والخلافات وبالتأكيد إذا جاءت هذه من أهل العلم فهي أقبح، ورجاءً لا تقولوا أن هناك خطط وقرارات جديدة ستحقق التطور فأغلبها سراب ومن يقرأ الخطط السابقة سيقتنع بأن كلامها كبير وإنجازاتها متواضعة فالعلاقة مع التنمية كانت ولا زالت ضعيفة وحجم ونوعية البحث العلمي متدنية وكثيراً من المقررات الجامعية لا داعي لها وهناك ضعف شديد في عدد المقررات المرتبطة بالواقع الوطني وعلى أساتذة الجامعات والباحثين في المعاهد العلمية أن يقودوا أولاً ثورة علمية في الجامعات والمعاهد وأن يطالبوا بإيجاد سلطة علمية على

مستوى الوطن.

(ب) رسالة مفتوحة لأساتذة الجامعات العربية

إخواني وأخواتي أساتذة الجامعات العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا شك أنكم تدركون ضعف دوركم في التنمية في أوطانكم وضعف مستوى التعليم الجامعي العربي وهناك بالطبع استثناءات وتدركون أن البحث العلمي في الجامعات وخارجها في وضع لا يحسد عليه ولهذا قد آن الأوان للقيام بثورة علمية فيها الكثير من الشجاعة والتفاؤل والنشاط والتعاون لتطوير الجامعات العربية ومن يعجز عن تطوير جامعته سيعجز عن أن يكون له دور هام في التنمية وأعتقد أن بداية التغيير هي في عمل دراسات علمية كثيرة عن أوضاع جامعاتكم من خلال جهود فردية وانفرادية وجماعية وهذا يمكن تنفيذه فوراً ولتتطرق هذه الدراسات إلى أمور كثيرة منها:

(١) هل حرص الأساتذة على تجميع صفوفهم أو بعضها ومعرفة أسباب تفرقهم وضعفهم ويأس كثير منهم وتواضع طموحاتهم؟

(٢) هل هناك نظام فعال للبحث العلمي في الجامعة؟ وهل يعرف الأساتذة بدقة الأبحاث التي تحتاجها التنمية؟ وما هي الأبحاث الجامعية التي استفادت منها التنمية خلال الثلاثين سنة الماضية؟ وما هي الوسائل الفعالة لتحديد الاحتياجات البحثية للتنمية؟

(٣) هل تم عمل خطط خمسية صحيحة في الماضي للجامعات؟ وهل حققت هذه الخطط أهدافها؟ وما الفرق بينها وبين الخطة الحالية؟

(٤) هل يحصل أساتذة وطلبة الجامعات على تدريب نظري وعملي كبير ومستمر؟ وكم نسبة الأساتذة الذين يحرصون على تطوير خبراتهم النظرية والعملية؟

(٥) هل تحتاج الجامعات إلى توظيف خبراء ومتخصصين في التنمية كأساتذة جامعات؟ وهل يتم الاستعانة بهؤلاء في محاضرات عامة في الجامعات؟ وكم عدد هذه المحاضرات مقارنة بالمحاضرات النظرية؟

وفي الختام أتمنى لكم السعادة وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عيد الدويهيس

ملاحظة: أرجو من الطلبة الأعزاء إيصال هذه الرسالة.

(٢) **القيادات المؤهلة:** قال الوزير السابق «لسنا بحاجة إلى سلطة علمية بل نحن بحاجة إلى قيادات مؤهلة للوزارات والمؤسسات وهي التي ستحقق الإصلاح والتطوير» وأقول يا ليت التطور يتحقق بذلك فهذا سهل نسبيًا وقال لي أحدهم «إن كارلوس غصن تولى تطوير شركة نيسان اليابانية ونقلها من خسارة عشرين مليار دولار إلى الربح ونقل شركة رينو الفرنسية من الخسارة إلى الربح» وأقول كارلوس عمل في مؤسسات متطورة إداريًا وكم من قيادي عربي مخلص ومؤهل

كانت إنجازاته محدودة بل أغلبهم كذلك إذا كنا نتكلم عن تطوير وزارات كبيرة وقطاعات ودول، فالدول لا تملك الرصيد العلمي لتحقيق ذلك فكيف بأفراد أو لجان فالواقع مليء باختلافات فكرية وسياسية ونقص شديد في المعلومات وواقع إداري متخلف ومعقد وغير ذلك فمن الطبيعي أن تكون الإنجازات محدودة وأغلبية القيادات المؤهلة لديها نقاط ضعف فكرية أو سياسية أو تخطيطية أو إدارية أو غرور عقلي أو عنصرية أو غير ذلك فهذه أمراض شائعة في المخلصين ولو بحثنا عن القيادات المخلصة فسنختلف كثيرًا في الاتفاق على إخلاصها أو كفاءتها وهذا وضع يواجه كل قيادي مخلص حاول اختيار مدراء مؤهلين فيكتشف ضعف كفاءتهم أو حتى فسادهم ومن ليس مقتنع بذلك أطلب منه أن يجمع مائة ممن يعتقد أنهم قياديون مخلصون ويطرح عليهم أسئلة رئيسية عن التطور والتقدم وسيجد في إجاباتهم تناقضات كبيرة ومهما حاولت القيادات المخلصة المؤهلة حشد طاقات علمية وطنية لصناعة القرارات والخطط فالنجاحات محدودة لأن الرصيد العلمي لأغلب مؤسساتنا وكل أوطاننا محدود إذن نحن بحاجة إلى سلطة علمية قوية تقوم بعمليات جراحية علمية كبيرة أكبر من قدرات علمية لقياديين مخلصين ومتميزين وشئنا أو أبينا فإن اختيار القيادات الحكومية وغيرها يخضع لاعتبارات وتوازنات فكرية وسياسية واقتناعات عقلية وعلاقات شخصية وغير ذلك فالمواصفات المطلوبة للقيادات لا تتأثر فقط بالكفاءة العلمية.

(٣) **اكتشافات الوزير والوكيل:** قيل قديمًا «تفقهوا قبل أن تسودوا» أي كونوا مؤهلين قبل أن تصبحوا قياديين ولكن ظروف كثيرة في العالم العربي أدت إلى صعوبة أن نكون مؤهلين مهما كان عندنا من علم وخبرة لأن حجم العلم المطلوب

للتقدم كبير جدًا لأننا نعيش في عصر العلم ولم تعد الأمور سهلة علميًا كما في الماضي البعيد أو حتى قبل قرن ويهمني هنا أن أنبه إلى أن كثيراً من الوزراء والوكلاء والمدراء وأساتذة الجامعات يكتشفون كل يوم معلومات أساسية عن عملهم لم يكونوا يعرفونها فهذا الوزير اكتشف أن تأخير مشاريع وزارته سببه ضعف الإدارات المعنية في الوزارة مما يجعل وزارة المالية أو الأشغال العامة تعيد المشاريع لهم لنقص في المعلومات أما الوكيل فقد أخبره المستشارون الأجانب أن خطة الوزارة فيها نقص كبير في كذا وكذا لهذا لم يتم تنفيذ أغلبها أما الوزير الآخر فاكتشف بعد شهور أن بعض القيادات الرئيسية في الوزارة محدودة الكفاءة... إلخ وسيبقى الوزير والوكيل يتعلم أشياء جديدة حتى لو بقي في عمله لعشر سنوات أو أكثر فما بالك بأن كثيرًا من الوزراء لا يبقون إلا فترات قصيرة وكلهم مشغولين لدرجة أن ليس عندهم وقت للتعمق في كثير من المواضيع ومهما كان الوزير مؤهل علميًا فهو في تخصص واحد أو اثنان أما الأغلبية الساحقة من أعمال الوزارة فهو ليس لديه تخصص فيها أو خبرات عملية وقارنوا كفاءة الوزير العلمية بمعهد علمي متخصص بالسلطة العلمية شخص واقع الوزارة من خلال عقول خمسين أو مائة متخصص متميز يعملون بصورة جماعية وأقل واحد فيهم عنده خبرة عشرون عامًا ومتفرغين كليًا للتشخيص والعلاج والقراءة والمقابلات إن قوتهم العلمية أقوى من قوة الوزارة كلها بما فيها الوزير بعشرين مرة على الأقل وذلك ليس فقط لارتفاع مستوى إخلاصهم وعلمهم بل أيضًا لأنهم قاموا بتجميع نسبة كبيرة من كمية العلم والخبرة الموجودة عند المسئولين والعاملين بالوزارة والعملاء وغيرهم.

(٤) **عقل مسؤول:** قال مسؤول كبير في دولة عربية: «نحن نعرف كيف

نطور الدولة ولكن هناك أمور لا نرغب بها تمنعنا من تحقيق ذلك» وأقول أولاً: عند بعض المسؤولين علم وخبرة طويلة في بعض فروع التنمية وأرجو أن يقارنوا علمهم بما هو متوفر من علم عند المسؤولين في الدولة المتقدمة وخاصة بعدد ونوعية الدراسات العلمية. ثانياً: ما عند هذا المسؤول وغيره في الدول النامية هو معرفة سطحية بنظريات تنموية عالمية أو بأهمية دعم القطاع الخاص والتطوير الإداري أو اقتناعهم بإمكانية تحقيق التقدم بالاستعانة بخبراء أجانب أو غير ذلك ولكن ما تحتاجه التنمية أكثر من ذلك بكثير وطرح أسئلة تفصيلية سيثبت ما أقول. ثالثاً: كثير من المسؤولين المتميزين بعلمهم عندهم خبرة أفضل من كثير من أساتذة الجامعات والمتخصصين ولكن إذا اعتقدنا أنهم قادرون على تشخيص وعلاج مشاكل كبيرة فنحن مخطئون ومثل هذا يقال عن علم الوزارات مقارنة بعلم من هم خارجها. رابعاً: إذا كان هذا المسئول يقصد أن هناك صعوبات تمنع التطور فإنه يعترف بعجزه العلمي عن كيفية التغلب عليها والأسوأ أنه لا يدري بأن كل تطور سيواجه بصعوبات لابد من حلها فهذا من بديهيات العلم والحياة فليتواضع علمياً كثيراً. خامساً: اختيار هذا المسئول لبقاء الأوضاع الحالية لبلده كما هي اختيار سيء فالجمود يزيد من المشاكل وسيدفع الوطن ثمن أعلى مقارنة بمواجهة الصعوبات أي هو كالمستجير من الرمضاء بالنار. خامساً: كثير من المسؤولين والناس عندهم شهادات علمية وخبرة ولكن مفاهيمهم عن التطور والنجاح والسعادة خاطئة سواء على مستوى الوطن أو الحياة الشخصية وهؤلاء أضروا أنفسهم ومؤسسات وشعوبهم أي أن صناعة التخلف لا يقوم بها من ليس لديهم شهادات أو مناصب بل العكس فهؤلاء لا يرون الحق والصواب حقاً ولا يرون الباطل والخطأ باطلاً فكم

فرد يعتقد أن النجاح هو في الوصول للمناصب أو المال أو الشهرة ويجهل ما هو أهم من ذلك بكثير أي أن السعادة في الدنيا والآخرة هي في القرب من الله سبحانه وتعالى وطاعته .

(٥) **فشل القطاع العلمي:** قال الوزير لماذا لم تنجح معاهدنا وجامعاتنا الحالية في القيادة العلمية؟ وما الذي يمنع أن تكون السلطة العلمية ومعاهدها فاشلة؟ وأقول أن جامعاتنا ومعاهدنا الحالية أغلبها فشلت في القيادة العلمية أو حتى المشاركة فيها وإنجازاتها في العلم والبحث العلمي محدودة وهذا أمر تثبته الحقائق والأرقام والنتائج وأغلب جامعاتنا متخصصة فقط في التدريس أي هي مدارس كبيرة وأغلب إن لم أقل كل معاهدنا صغيرة ومحدودة الإمكانيات والصلاحيات وبالتأكيد أن السلطة العلمية ستكون فاشلة إذا تساهلت في اختيار العاملين فيها كما فعلت كثير من الجامعات والمعاهد ونحن نريد في السلطة العلمية نخبة النخبة من العلماء وليس فقط النخبة وقد تطرقت في عدة كتب إلى عالم البحث العلمي والجامعات والمعاهد العلمية وشرحت كيفية تطويرها ونحن كعرب نعيش ومنذ أكثر من أربعين عامًا في تيه علمي أي جامعات ومعاهد ضعيفة مما أدى إلى اقتناع كثير من المسئولين في الحكومة وغيرها بمحدودية دورها في التنمية، ومن يرى القطاع العلمي من بعيد يظن أن عند الجامعات الكفاءات العلمية المطلوبة لتحقيق التنمية مع أن الحقائق تقول أن كثيراً من أساتذة الجامعات فشلوا في النجاح في المناصب الحكومية التي أعطيت لهم، وهل تتوقع ممن فشلوا في تطوير جامعاتهم ومعاهدهم أن يكونوا قادرين على تطوير وزارات ومؤسسات؟ إذن لا بد من تطوير الجامعات والمعاهد العلمية وبناء سلطة علمية قوية جدًا فبلا علم لن

نتقدم وليس الحل أن نلوم بعضنا البعض ولا يوجد سر في تقدم الدول فكل ما فعلته أنها أنشأت قطاع علمي قوي، فالتطور نصفه علم ونصفه عمل أي تنفيذ أي تنمية وإذا كان يفصلنا في مجال الإدارة عن الغرب خمسين عامًا مثلًا فإن تطورنا علميًا في علوم الإدارة ووصلنا إلى مستواهم العلمي فقد قطعنا نصف الطريق إلى التقدم حتى لو لم يتطور واقعنا الإداري الحالي شبرًا واحدًا والكتب والدراسات التدريبية وتأهيل المتخصصين والمحاضرات... إلخ ليست كلام وليست بدون فائدة حتى لو لم يتم تطبيق ما فيها من علم، فالعلم هو العمود القوي للحياة الناجحة للأفراد والدول وللتنمية وأي مشكلة كبيرة أو صغيرة هي من نصفين الأول العلم الذي يحدد لنا تشخيص المشكلة وكيفية علاجها والثاني هو تنفيذ العلاج وقيل معرفة المشكلة نصف الحل إذن لنهجم علميًا بقوة وكثافة على مشاكلنا وقضايانا واختلافاتنا ومقترحاتنا وفرصنا وصعوباتنا ونقاط قوتنا وضعفنا وآمالنا وآلامنا حتى نعرفها أكثر وحتى نقطع نصف الطريق إلى التطور، وبالتأكيد كلما تعلمنا أكثر سيتم فورًا تطبيق بعض ما تعلمناه على أرض الواقع إن كانت نوايانا صادقة ومخلصة.

(٦) **قيود حقيقية:** شاهدت في اليوتيوب طالب عربي ينتقد بسخرية جميلة نيوتن على اكتشافه لقانون الجاذبية وتمنى لو اكتفى نيوتن بأكل التفاحة الساقطة وذلك لأنه يكره مادة الفيزياء ويعاني من صعوبة فهمها وأقول كم صنعنا بأيدينا قيود وصعوبات ومفاهيم واقتناعات وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان تمنع زيادة علمنا أو أعمالنا في كثير من مجالات التعليم والتدريب والبحث العلمي والصناعة والزراعة والسياحة والتجارة واستقطاب الاستثمار... إلخ فمن

الخطأ أن نفرض على الطلبة إتقان الفيزياء والرياضيات واللغة الإنجليزية أو غير ذلك ألا يمكن أن يطلب من طلبة منتصف المرحلة المتوسطة وما فوقها النجاح في ست أو في سبع مواد من أصل عشر مواد ألا نشاهد أطباء ناجحين ضعفاء في اللغة العربية ومحامين متميزين ضعفاء في الرياضيات وغير ذلك وتتطلب الحياة العملية الناجحة إتقان عمل واحد محدد وقد لا يكون له علاقة بكل ما تعلموه في المدارس والجامعات وقد يكون التدريب وليس التعليم هو مدرستهم فافتحوا أبواب كثيرة للعلم والعمل حتى يتطور الطلاب والشباب والموظفين وغيرهم، وتصور الأحوال إذا تم في مجال العقار والمدن والصناعة والزراعة إعطاء أراضي كثيرة مجانية لكل مستثمر أو محتاج كم من منازل وعمارات ومزارع وخدمات وغير ذلك سيتم إنشاءها حتى لو كانت الخدمات المقدمة قليلة لهذه المنشآت.

(٧) **قيود وهمية:** هناك بلا مبالغة عشرات الملايين من الشباب والكبار ممن يقولون أن هناك قيود تمنع تطورهم في العلم أو العمل أو كلاهما وإن سألتهم أعطوك أعذار وهمية فهذا الموظف يقول كيف تريد مني أن أتطور علميًا وليس في استطاعتي الحصول على بعثة للماجستير أو الدكتوراه؟ وأقول من قال أن التطور العلمي مرتبط بالبعثات أو حتى الجامعات أليس أديسون من أكبر المخترعين في العالم ولم يحصل على الشهادة الابتدائية ألا يحدث التطور العلمي من خلال القراءة والبحث العلمي والتأليف وسؤال المتخصصين وممارسة الأعمال المتخصصة والمتنوعة فهذه أبواب مفتوحة للعلم ولا تحتاج موافقة رئيسك في العمل أو قراءة شروط البعثات، فالعلم شيء والشهادة شيء آخر وإذا كان لديك علم فلا تحتاج اعتراف حكومي أو شعبي به بل قد تحقق من الأموال والمناصب أكثر بكثير من

أصحاب الشهادات العليا ألا نرى بعض من اكتسب علمًا واجتهد في عمله في العقار أو التجارة أغنى من أغلب إن لم أقل كل مدراء الجامعات ووزراء التعليم قيل: «أفضل الرجال المجتهدين وأفضل النساء العفيفات» وليس صحيح أن الوقت فقط أو المسئوليات الأسرية قيد على التطور فهذه قيود وهمية فليس مطلوب أن تقضي ساعات يومية في التربية والمسئوليات الأسرية بل يكفيك ساعة وإذا اجتهدت في القراءة والتدريب لمدة ساعة أو ساعتين يوميًا فستتعلم الكثير خلال سنة أو سنتين بل حتى تتقن تخصص جديد ترغب به ولا علاقة له بتخصصك الجامعي، ولكن لا شك أن التطور في العلم أو العمل يتطلب الصبر والتضحية ببعض الأوقات الترفيهية والعلاقات الاجتماعية ومشاهدة التلفاز وبعض المال. ولو كان الصعود إلى الأعلى سهل لصعد كل الناس ولكن الأغلبية لا يرغبون في دفع ثمن الصعود ويحبون الراحة والكسل ويقولون سننشغل في تربية الأبناء ويتعذرون بقيود وهمية لتواضع طموحاتهم في العلم والعمل، ولا يقتصر وجود القيود الوهمية على الأفراد بل نجدها على مستوى المؤسسات والشركات والوزارات وحتى الدول فما، الذي يمنع هذه المؤسسة من وضع برنامج تطوير علمي لكل موظفيها حتى المدراء وما الذي يمنع وزارة من أخذ المبادرة في أفكار جديدة يكاد بعضها يكون مغامرة، ومثل هذا يقال عن دول أعاقت استقطاب الأموال من مستثمرين خارجيين أو وضعت قيود وهمية على استقطاب علماء ومتخصصين مع أنها في أمس الحاجة لهم وهي الرابحة إذا تم تجنيسهم، وتجد من يقول يا أخي لنهتم أولًا بالكفاءات الوطنية وإذا نظرت وجدت الولايات المتحدة الأمريكية تحاول جاهدة استقطاب أفضل الكفاءات العلمية في العالم ولم تهمل كفاءاتها الوطنية مع أنها الدولة

الأولى المتقدمة في كثير من المجالات العلمية أي عكس مستوانا العلمي ولماذا لا تركز قبائلنا وعوائلنا على إعداد برامج لتطوير شبابها في مجالات العلم والعمل بدل الاهتمام بالماضي والنسب؟ وهل يوجد ما يمنع أفراد ومؤسسات لديهم خبرة من توثيق وكتابة خبراتهم ووضعها في الإنترنت حتى يستفيد الشعب والحكومة معًا وهل توجد قيود على تطوير علمنا بالإسلام أو تطوير عبادتنا بالصلاة في المساجد أليس محزن أن نرى ملايين المسلمين ينتقلون هنا وهناك ويهملون الدخول للمساجد للصلاة بها مع أن الصلاة خير عمل والمؤذن يقول «حي على الصلاة حي على الفلاح» والواجب أن نترك الدنيا ومن فيها ونتجه للصلاة فورًا فالقيود التي تمنعنا هي قيود شيطانية. قال الله تعالى: وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ سورة هود .

(٨) **الوثيقة الاقتصادية من ميزان الشعب:** كان هذا العنوان لندوة في ١٠ أبريل ٢٠١٦ لبعض ممثلي المعارضة الكويتية اعتراضًا على وثيقة اقتصادية حكومية من أهدافها زيادة أسعار الكهرباء والماء وغير ذلك، ونرى حكومات تزن الأمور بالميزان الأمني أو ميزان ما تعتقد أنه يحقق مصلحتها وهناك موازين كثيرة منها ميزان عرقي وميزان أخلاقي وميزان التفاؤل وميزان التشاؤم وميزان اللذة وغيرها وكل هذه الموازين خاطئة حتى لو كان في بعضها بعض الصواب ويجب أن يكون عندنا ميزان واحد هو ميزان العلم والعقل والواقع وأعلق على الندوة من خلال النقاط التالية:

(أ) بالتأكيد أن الميزان الشعبي سيرفض أي زيادة في الأسعار (ب) كل الموازين الخاطئة ستأخذ من الحق والشائعات والظنون والاحتمالات ما يؤيد ما تقول

وتنتقد ما تعارضه (جـ) لم يكن أحدًا من المتحدثين الخمسة حسب علمي متخصص في الاقتصاد فهناك سيطرة للسياسيين على كثير من الأمور وغياب للعلماء والمتخصصين وصوت العلم والدراسات العلمية (د) لم يتم دعوة أطراف حكومية أو مؤيدة للوثيقة أو أطراف علمية محايدة وهذا يعني أننا سنرى جزء من الصورة وكذلك يفعل الطرف الآخر عندما يريد حشد الإقناع والتأييد الشعبي أو غيره (هـ) لا توجد للحكومة أو المعارضة في أغلب دولنا العربية خطط صحيحة تم صناعتها بتعاون صحيح وشامل من كل القوى الوطنية حتى تنال القبول والشمولية والعدل والتأييد فنحن نعيش في عالم رد الفعل على قرار أو موقف أو أحداث وهذا تخلف كبير . (ز) من العلم والعلمية والعدل ربط الأمور ببعضها فلا يقبل الحديث عن زيادة الأسعار، وهناك هدر كبير للمال في جوانب أخرى وهناك تجاهل فعلي للفقراء وإمكانياتهم وخلط للقادر مع العاجز ماليًا (ف) أهمس في آذان كل الحكومات والسياسيين كلما كنتم أقرب للمبادئ والأخلاق والعدل فسيكون النجاح من نصيبكم في الدنيا والآخرة فهنا الذكاء والمصالح الحقيقية فالمكاسب ليست أموال أو مناصب أو شعبية أو شهرة وهذه بديهيات علمية قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فبذلك فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) سورة يونس.

(٩) **أمراض العقل العربي:** كثيرًا ما نسمع مدح للغرب وللشعوب الغربية وذمًا للعرب وأفعالهم واتهام لهم بالجمود أو السذاجة أو رفض التغيير والتطور أو أن العقل العربي اتكالي أو لا يؤمن بالأسباب المادية أو يعشق الصراعات والخلافات

والجدل والثارات، وأقول الحمد لله أن العقل العربي طبيعي ولكن توجد فوضى في التخطيط والإدارة أو نقص في العدالة أو فقر أو يأس أو غضب يؤدون إلى تصرفات شاذة، فما تتعرض له أمتنا من عدوان وظلم تجعل العقلاء يفقدون أعصابهم فكيف بغيرهم ولا توجد أمة في العالم تتعرض حتى لربع ما يتعرض له العرب من مؤامرات خارجية وداخلية من قوى متطورة في علوم الشر والفساد والخيانة. ويكفي أن نشاهد قنوات فضائية عربية فاسدة تنشر الكذب والنفاق والفسق والعدوان على الإسلام والشرفاء. ولو سلطنا الآراء على عقائد وسلوكيات الأوروبيين لوجدنا أمثلة كثيرة تثبت تخلفهم ولكن أعلامنا الحقيقي كسول ويفتقد التطور العلمي الإعلامي، والمشكلة التي نواجهها هي غياب العلم والسلطة العلمية عن الرعاية والاهتمام الشعبي والحكومي فهذا هو الخطأ القاتل الذي ارتكبناه فنحن تأخرنا كثيراً في بناء قطاع علمي قوي يقود التنمية الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والزراعية والصناعية وغير ذلك وأقول إن الباطل ضعيف قال الله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (آية ١٨) سورة الأنبياء. وقال تعالى ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ (٧٦) سورة النساء. ولن نستطيع قذف الباطل بالحق إلا إذا كانت عندنا قوة علمية منظمة وليس كما هو الحال الآن فأشهروا سيف العلم وسيتساقط الأعداء والخونة بل سنغزو الأعداء بسيف العلم الفكري فهل نحن فاعلون؟.

(١٠) **العامة والخاصة** : من التطور أن نحرص على الوصول إلي أكبر درجة من النقاء العلمي فلا شك أن عامة الناس يختلط فيهم العالم بالجاهل والمخلص بالفاسد والكبير بالصغير وغير ذلك ... مما يجعل في آرائهم كثير من

التلوث وإذا كان هناك تصنيفات للبشر حسب المال أو الجمال أو الأخلاق أو غير ذلك فعلينا أن نبحث عن خاصة الخاصة في العلم والاخلاص في كل الشعوب والحكومات والاحزاب والجماعات والمؤسسات والشركات والقبائل والعائلات وغير ذلك فهؤلاء هم الاقدر على قيادة الوعي والعلم والتنمية ولنوجد جمعيات علمية شعبية وحكومية فيها أفضل ما عندنا من علماء ومتخصصين في كل المجالات ونريد جمعيات علمية لا علاقه لها بتحقيق مكاسب لأعضائها كما تفعل كثير من الجمعيات المهنية وهؤلاء هم الاقدر على تشخيص المشاكل ووضع حلول لها ولكن هؤلاء حالياً متفرقين وكثير منهم مجهولين وفرق شاسع بين موضوع يتم مناقشته بصورة مفتوحة للجميع وبين نقاش لخاصة الخاصة . ولنسعي أيضاً للوصول لخاصة الخاصة في جودة الكتب التي تتطرق لقضايانا ونشر العلم لا تقل أهميته عن صناعته

(١١) **صيف متميز جدًّا:** قد يقول قائل ما العلاقة بين العلم والصيف وأقول أن العلم له علاقة بكل شيء فهو كالهواء بالنسبة للحياة وكالماء بالنسبة للأفراد ولكن لا يدرك أهميته الكثيرون ولهذا لا يحرصون على اكتسابه من المهد إلى اللحد ولا تدرك الحكومات أهميته الحقيقة للأمن والسياسة والاقتصاد والتطور وغير ذلك بل أن حتى القطاع الخاص لا يدرك أهمية العلم لتطور الاقتصاد ولهذا لا يهتم بالتطوير العلمي على مستوى الدولة ولهذا بقي القطاع الخاص ضعيف في أغلب دولنا وتعالوا نرى الصيف العربي وسنجد بلايين الساعات الضائعة والفراغ القاتل والملل وإضاعة الوقت بمشاهدة التلفاز والإنترنت والهواتف النقالة والكسل ونجد نسبة قليلة من الطلبة وغيرهم ممن يستفيد من الإجازة الصيفية ولكن هذه

الأوضاع ستتغير بإذن الله تعالى إذا بذلنا جهودًا كبيرة في حشد الطاقات العلمية والعقلية وعملنا آلاف الدراسات العلمية الميدانية والنظرية لصناعة خطط وبرامج وقرارات وقوانين تجعل الصيف العربي متميزًا جدًا في مجالات الترفيه والعلم والعمل والعلاقات الاجتماعية واكتشاف المواهب المفيدة وتعليم الشباب الأسس الصحيحة للحياة الزوجية وتعزيز لياقتهم البدنية وتأهيلهم لمستقبلهم الوظيفي ويمكن بالعلم إيجاد منافسات بين المناطق والمحافظات والدول في صناعة صيف مثمر جدًا إذن لنبدأ بتطوير العقول والعلم أولاً، أليس من المحزن إذا طالبت بصناعة صيف مثمر يستفيد منه عشرات الملايين من الطلبة والمواطنين تجد من يقول يا أخي كل واحد يحل مشكلته في الصيف أو هل دور الحكومة الاهتمام بهذا الموضوع؟ أو يقول من يعمل في القطاع الخاص الأمر لا يعنينا. وهذا كله هو الجهل والتخلف لأنها مصلحة عامة تتطلب جهود جماعية من عدة أطراف والتطور هو أن نفكر بطريقة صحيحة ونفهم الحياة والواقع وأن نقتنع أن تحقيق قفزات كبيرة يحتاج إلى عمل جماعي، وليس التخلف هو فقط تخلف تكنولوجي بل أغلبه هو في مفاهيم خاطئة تسيطر علينا، وما يقال عن الصيف يقال عن ارتفاع درجة الحرارة في الصيف حيث نجد غياب شبه كامل لإدخال سلاح العلم لهذا المجال فهناك مقترحات كثيرة تجعلنا نقاوم الحرارة وأخرى تجعلنا نستفيد منها ولكن أساتذة الجامعات والباحثين والمتخصصين غائبون عن هذا الموضوع مما جعل البشر والطيور والحيوانات تعاني من شدة الحر والغريب فعلًا أننا كثيرًا ما نستسلم للصعوبات ولا نحاول التغلب عليها.

السلطة العلمية أولاً

مع أنني ألفت كتابين هما «الطريق إلى التقدم العلمي» و«أين السلطة العلمية؟» وكتبت مقالات وتحدثت في مقابلات إلا أن هناك حاجة لمزيد من الشرح والتفصيل لمقترح السلطة العلمية وهي سلطة قائمة على إعطاء العلم الحقيقي والعلماء الحقيقيين قوة وطاعة وتقدير ووزن وهذا أمر ضعيف جدًا حاليًا، وهناك من يقول لنبدأ بالتعليم وأقول بلا بناء قطاع علمي قوى أولاً لن نستطيع تطوير التعليم أو الاقتصاد أو الإدارة أو غير ذلك، فالتعليم المتميز لن يتحقق بلا علم قوى جداً في علوم التعليم والتربية والعقائد وسوق العمل والهدف من السلطة العلمية بناء قطاع علمي قوي يقوم بتطبيق العلم في التنمية في حين التعليم يركز فقط على زيادة المعلومات والمهارات لا تطبيقها، وهناك من يعتبر برنامج الإصلاح العلمي أولاً نوع من الكماليات أو الترف وهو أمر يهم العلماء وهؤلاء لا يعرفون العلم ولا الحياة وستكون السلطة العلمية فاشلة وشكلية إذا تم تعيين الفاشلين فيها أو لم تعطى الصلاحيات أو الميزانيات المناسبة أو لم تتنافس مع معاهد علمية حكومية وجامعية ومستقلة ومن البديهي أن أي مصنع أو مزرعة أو شركة أو وزارة أو حكومة أو معارضة سيكون نصيبهم الفشل إن لم تتوفر لهم مقومات النجاح أو لم يعملوا بأسلوب علمي وإن لم يكن هناك اقتناع وقبول شعبي وحكومي للسلطة العلمية وللعلم والعلماء والمتخصصين فلا تعملوها ولكن لا تنسوا أنكم عجزتم عن تحقيق قفزات تنموية كبيرة حتى لو حققتم نجاحات هنا وهناك، والدليل أن أغلبية دولنا في آخر قائمة دول العالم في التنمية، ولا تعني التنمية مشاريع صناعية وزراعية فقط ولا يمكن تقليد قطاع أو دولة غربية أو شرقية فالسعودية تختلف كثيراً عن

كوريا الجنوبية ويختلف القطاع الزراعي المصري عن القطاع الزراعي الأمريكي، وقد فشل الاتحاد السوفيتي فشلاً كبيراً في الثمانينات من القرن العشرين عندما أراد التحول من اقتصاد شيوعي إلى اقتصاد رأسمالي باستخدام أسلوب التقليد مع أن عنده عدد كبير من الخبراء والمتخصصين ولكن نصائحهم كانت فاشلة إذن نحن بحاجة إلى سلطة علمية تصنع محلياً قرارات وخطط التنمية.

ويمكن تقسيم السلطة العلمية إلى جزأين الجزء الأول سلطة علمية مستقلة مشابهة للسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية والجزء الثاني سلطات علمية صغيرة في الوزارات والمؤسسات والشركات والجمعيات المهنية والأحزاب السياسية والجامعات وغير ذلك، وسأركز هنا على السلطة العلمية المستقلة من خلال ما يلي:

(١) **ما هي السلطة العلمية؟** تهدف السلطة العلمية إلى إعطاء العلم والعلماء والمتخصصين إمكانيات وقوة تأثير وتسعى لزيادة الرصيد العلمي الوطني في كل المجالات وهي سلطة تتكون من حوالي عشرة معاهد كبيرة ومتخصصة تغطي القطاعات الرئيسية في الدولة أي الاقتصاد والتعليم والفكر والإدارة والسياسة والزراعة والصناعة والحياة الاجتماعية وغير ذلك وفي كل معهد مائة عالم ومتخصص متميز لا تقل خبرتهم عن عشرين عامًا ويتميزوا بالإخلاص والتميز العلمي وهم نخبة النخبة في الكفاءات العلمية وخبراتهم متنوعة نظرية وعملية أي نصفهم من الجامعات والمعاهد العلمية ونصفهم من أهل الخبرات العملية، فنصف العاملين في معهد الدراسات التعليمية هم معلمون وموجهون ونظار مدارس ووكلاء وزارات ووزراء سابقين أي عملوا سنين طويلة في هذه المجالات فهم يعرفون الواقع التعليمي، والسلطة العلمية هي سلطة متفرغة لعمل الدراسات

الميدانية والنظرية وإجراء المقابلات مع الأطراف الرئيسة في التنمية وتجميع ما في العقول من أفكار ومقترحات وكذلك الاستماع إلى آراء أساتذة الجامعات والباحثين في المعاهد العلمية الحكومية والمستقلة إذن السلطة العلمية ستقوم بتشخيص أوضاع القطاعات الرئيسة بصورة شاملة وعميقة لتعطينا مقترحات ومعلومات عن قضايانا الرئيسة. والهدف من السلطة العلمية تزويد المسئولين والشعب والقطاع الخاص بالمعلومات والدراسات والمقترحات أي لهم دور رئيسي في صناعة القرارات والخطط والبرامج ودورهم استشاري وهم الجسد الذي يربط بين العلم وأهله وبين التنمية وأهلها وإيجاد سلطة علمية معناه قبولنا كحكومات وشعوب إلى الاحتكام في كثير من الأمور للعلم وأهله بصورة دائمة وشاملة وليست جزئية ومؤقتة كما هو الحال حاليًا وعندما أتكلم عن السلطة العلمية فأنا لا أتكلم عن أهمية العلم بل أطالب بإعطاء العلم وأهله قوة وتأثير وتأييد معنوي ومادي. ولن تكون معاهد السلطة العلمية هي الوحيدة في الدولة بل نحتاج معاهد كبيرة ومتوسطة تابعة للحكومة والقطاع الخاص والجامعات وغير ذلك وبعض أهداف المعاهد تتشابه مع أهداف معاهد السلطة العلمية وبعضها تختلف

(٢) **مجلس لكبار العلماء:** ليست السلطة العلمية مجلس لكبار العلماء على مستوى الدولة بل هي معاهد كبيرة متخصصة، وليست هي مجموعات تفكير مؤقتة Think Tanks تجمع آراء عن موضوع ما، وكذلك ليست هي مجلس أعلى للاقتصاد أو مجلس متخصص بالتعليم أو مجلس أعلى للتخطيط أو ما شابه ذلك فأغلب هذه أجهزة تنفيذية حكومية أو جهات استشارية أو علمية تابعة للحكومة في حين السلطة العلمية هي شبيهة بالسلطة القضائية من حيث

أن عملها دائم وكبير وفرق كبير بين مجلس لكبار العلماء به علماء وتخصصات متنوعة وبين معهد الدراسات الاقتصادية فيه مائة متخصص متميز في الاقتصاد فقط فنحن بحاجة إلى معهد اقتصادي قوي جدًا حتى يتمكن من دراسة واقع اقتصادي كبير جدًا ومعقد ومرتبط حتى بالاقتصاد العالمي ومثل هذا يقال عن معهد الدراسات الإدارية وغيره وإذا كانت الدول أوجدت سلطة قضائية حتى تطبق العدل وإذا غابت هذه السلطة انخفضت نسبة تحقيق العدل من ٧٠٪ إلى ٢٠٪ أو أقل فإن العلم وأهميته للحياة والتنمية والوجود والقوة والتقدم بحاجة إلى سلطة ترفع من نسبته الحالية في قراراتنا وبرامجنا وخططنا من ٢٠٪ إلى ٦٠٪ أو أكثر وكلما ازددنا إخلاصًا ووعيًا كلما ازددنا قبولًا للعلم في حياتنا، وأنبه هنا وبشدة إلى جريمة علمية كبرى شائعة في أمتنا وهي التعامل مع العلم بسطحية وهذا يحدث في حكومات ومجالس نيابية وشركات وحتى مؤتمرات علمية فهذا عالم في مجلس لكبار العلماء يقول «لقد ناقشنا خلال سنة عدة مواضيع كبيرة منها كذا وكذا... إلخ» أي مشاكل كبيرة تواجهها الدولة وأقول أليس هذا نقاش سطحي يتبرأ منه العلم لأنكم تفتقدون الدراسات العلمية المطلوبة وما لديكم هو دراسات محدودة جدًا وأغلبيتكم الساحقة ليسوا متخصصين في هذه المشكلة أو تلك فأنتم بعيدون عن تشخيص صحيح للمشاكل والمعرفة للحلول وكيفية تطبيقها وهذا هو النوع السائد من الجهل الذي تشكو أمتنا منه.

(٣) من يختار العاملين في السلطة العلمية؟: كثيرًا ما سألوني من يختار العاملين في السلطة العلمية؟ وأقول تختارهم القيادات العلمية المتخصصة في المعاهد العلمية وهذه القيادات يجب اختيارها على أساس الكفاءة في الإخلاص

والعلم أما إذا تدخلت الحكومة أو القوى الشعبية أو غيرها في عملية الاختيار أي تدخلت الوساطات والولاءات الفكرية والسياسية فلا داعي لإنشاء سلطة علمية لأنها ستكون فاشلة أو شكلية وإن لم يكن هناك اقتناع بأهمية السلطة العلمية أولًا من الشعب وثانيًا من الحكومة فلن تنجح ولا نجد من يسأل من يختار العاملين في السلطة القضائية؟ وهناك معايير عالية الجودة في صفات العاملين في السلطة العلمية منها رصيدهم من الإخلاص والشهادة العلمية والإنجازات والخبرة العملية وتزكية الناس وما كتبوا من كتب أو تقارير وما لهم من آراء ومقترحات وغير ذلك، وليس معنى هذا أن نصل إلى نخبة النخبة من العلماء والمتخصصين المتميزين مائة بالمائة ولكن لنصل إلى النجاح في الاختيار بنسبة ٧٠٪ من هذا الهدف ولا شك أن التدقيق الكبير سيحقق هذا الرقم أو أكثر وإذا أردنا أن نعرف أفضل عشرين لاعب كرة قدم في العالم فيمكن وضع معايير مثل سعرهم في السوق وتجميع آراء المدربين في أفضل عشرين نادي حققوا بطولات خلال الخمس سنوات الماضية وغير ذلك، وإذا أضفنا لذلك أن السلطة العلمية يجب أن تكون حية فيها رقابة ومتابعة وعقوبات ودماء جديدة وهي مكان لا تقبل أن يعيش فيها الفاشلون والكسالى فإنه لا مشكلة حقيقية في الوصول للكفاءات الحقيقية. وأنبه هنا إلى وجود بيئة عربية ملوثة بالمعلومات الخاطئة فلو تم طرح مائة اسم من المؤهلين فعلًا للعمل في السلطة العلمية سنجد ألف اتهام يوجه لغالبيتهم ويطعن في إخلاصهم أو كفاءتهم وعلى سبيل المثال: لو تم طرح اسمي كمرشح للعمل في السلطة العلمية سنجد كثير من الزملاء يتهمونني بالمثالية أو التطرف أو العناد أو لا أعرف الواقع أو غير ذلك.

(٤) **معهد للعلم والبحث العلمي:** انتبه كثيراً من العرب إلى أهميه دور العلم والعلماء في التنمية وطالبوا خلال الخمسين سنة الماضية بإنشاء مجلس للبحث العلمي أو مجلس للعلم والتقنية أو وزارة للتكنولوجيا أو غير ذلك، وأقول نحن بحاجة إلى أن يكون في السلطة العلمية معهد للعلم والبحث العلمي فكثيرًا ما نتذكر الاقتصاد والتعليم وننسى العلم وبناء قطاع علمي قوي على مستوى الدولة ونحتاج هذا المعهد حتى يهتم بتطوير البحث العلمي الذي يعيش حاليًا في فوضى بل في غرفة الإنعاش ونحتاج هذا المعهد لتطوير المعاهد والجامعات وقطاع التدريب وقطاع المعلومات وأنظمتها وتشجيع القراءة ورعاية الموهوبين من الشباب والكبار واستقطاب الكفاءات العلمية الخارجية وغير ذلك.

(٥) **التخلف والسلطة العلمية:** كثيرًا ما نجد من يقول ما أكثر التخلف أو الفساد أو الأعداء للإصلاح والتقدم أو ما أشد تخلف عقولنا أو عقول بعض أو كثير من المسئولين أو بلغت بعض المؤسسات في العالم العربي درجة من الفشل يجعلها بحاجة إلى نسف كلي وبناءها من جديد وهذا رأي سمعته من طبيب مثقف كبير في العمر وأقول أولًا لا أعتقد أن واقعنا بهذا السوء فأين الإيجابيات الكثيرة التي تم تحقيقها خلال الثلاثين سنة الماضية؟ وأين نتائج التعليم والثقافة والانفتاح؟ وأين الخبرات التي تراكمت في عقول المتخصصين والمسئولين والشعوب خلال العقود الأخيرة؟ وأين المخلصين؟ وما أقوله لا يتعارض مع وجود صعوبات كبيرة فعلًا ولكن أيضًا الإمكانيات المتوفرة هائلة جدًا ولا يمكن عمليًا هدم ما هو قائم والبناء من جديد ودور السلطة العلمية وكل المخلصين بذل جهودهم لتطوير الوزارات والمجالس النيابية ووسائل الإعلام والمدارس والجامعات وغير ذلك، ودور

العلم وأهله مساعدة الناجحين حتى ينجحوا أكثر وتقديم العون للفاشلين حتى ينجحوا وهذا أمر يحتاج إلى صبر وتضحيات ومحاولات وسنين، ونستطيع بإذن الله تحقيق قفزات كبيرة في سنين قليلة وإذا عملنا بجد واجتهاد فسنتطور في عدة مجالات رئيسية وسننافس فيها الدول المتقدمة في ثلاثين عامًا أو أقل.

(٦) **الحكومة والسلطة العلمية:** قال لي أكثر من فرد أي شيء حكومي سيكون فاشل وإذا أوجدت الحكومة سلطة علمية فستكون فاشلة لأنها ستتدخل في عملها وأقول كل الدول المتقدمة لديها حكومات وحكوماتنا بعضها ناجح وبعضها فاشل وكما تكونوا يولى عليكم والأهم أن نبتعد عن المثالية ونحسن الظن في كثير من الحكومات والقوى السياسية وغير ذلك فهناك شائعات شوهت الكثيرين وكل حكومة فيها المخلصين والفاسدين ولكن النسب تختلف ونخطئ جدًا إذا اعتقدنا أن أوراق الإصلاح والفساد بيد الحكومات بل أغلبها بيد الشعوب ولن تنجح السلطة العلمية إن لم يكن لها قبول شعبي ثم من الحكومة، فالقوة الرئيسة الأولى هي القوة الشعبية وكل شعب واعي قادر على سحق أي حكومة فاسدة والأدلة التي تثبت ذلك كثيرة أما إنشاء السلطة العلمية فهي مسئولية الدولة وليست الحكومة، والدولة تعني الأطراف المؤثرة في الواقع وأولها الشعب. وإن لم يكن هناك قبول للسلطة العلمية فقد اخترتم الجهل والفوضى واختلاف الآراء والاحتكام للقوة وشاهدنا نتائج مريرة لهذا الوضع أوصلت بعض شعوبنا للثورات الشعبية ولن تستطيع الحكومة حل أغلب المشاكل الوطنية الكبيرة بدون السلطة العلمية فقد حاولت الحكومات العربية تطوير الاقتصاد والتعليم والإدارة والسياحة والصناعة وغير ذلك ففشلت في أغلب هذه المجالات وسيفرح كل مخلص في الحكومة أو

غيرها إذا وجد السلطة العلمية تزوده بالمعلومات الصحيحة والمقترحات المفيدة وغير ذلك لأنها ستساعد في تطوير العمل، وليس صحيح أن الدول العربية الغنية لا تحتاج سلطة علمية لأن عندها أموال بل هي تواجه مشاكل كبيرة من أهمها تخلف التعليم والبطالة الحقيقية وأمراض الكسل والتبذير وازدحام السيارات وغير ذلك، وليس صحيح أبدًا أن الدول العربية الفقيرة ينقصها الأموال فقط بل هي متخلفة في التخطيط والإدارة والتعليم والصناعة... إلخ ولو كان هناك علمًا متطورًا لاستطاعت استقطاب أموال من كل بقاع العالم في حين فشلت كثير منها في استقطاب أموال مواطنيها التي تذهب للخارج. وليس من أهداف السلطة العلمية التصادم مع حكومة أو غيرها فدورها استشاري وليس لها قوة تنفيذية ومن أهم واجباتها التنسيق مع الجميع وأولهم الحكومة للاستماع إلى مختلف الآراء ومعرفة الإمكانيات والقيود وعمل الدراسات الميدانية الكثيرة حتى تعطي معلومات صحيحة ومقترحات مفيدة وواقعية وحتى لا تحمل وزير أو حكومة ما لا يطيقون، وليس صحيح أن شعوبنا مقتنعة وراغبة في السلطة العلمية وأن الرفض هو من الحكومات فقد قابلت أفراد من قوى شعبية وقطاع خاص فلم أجد عند كثير منهم أي استعداد للعمل من أجل نشر مقترح السلطة العلمية ووجدت عند بعضهم عدم اقتناع حتى شعرت كأنني أؤذن في مالطة وأنا لا أبالغ فلم أجد في الكويت من يتبنى مقترح السلطة العلمية مع أنني قابلت الكثير من الرموز الشعبية ولم يفتح لي بعضهم حتى منابر إعلامية يملكونها لنشر مقترح السلطة العلمية .

(٧) **سيطرة السلطة العلمية:** قال مبتسمًا «ستؤدي السلطة العلمية إلى إزالة الكل» وقال آخر: «إن الهدف من السلطة العلمية هو الوصول للحكم» ولم أجد

وللأسف من يقول: «إن هدفك من مقترح السلطة العلمية أن تحكم العرب» هذه الآراء وغيرها تثبت أننا نعيش في عالم الآراء الخاطئة والظنون والشك أي عالم الجهل وهي تثبت حاجتنا لسلطة علمية لتقول لنا الحقائق فالسلطة العلمية هي سلطة استشارية وهي لا تدعو لسيطرة حزب أو جماعة أو اتجاه أو قبيلة أو عرق أو طبقة وهدفها زيادة الجرعة العلمية في القرارات والخطط والقوانين ولم نجد في العالم المتقدم من يعادي دور العلم والعلماء ويقول هدفكم السيطرة على الحكومة ولن تأخذ السلطة العلمية أي من سلطات الحكومة لأنها ليست سلطة تنفيذية أو نيابية أو قضائية ولكنها سلطة تحارب الجهل حتى لو جاء من مسئولين حكوميين وقد وصلنا للثورات الشعبية وواقع يعاني من الاختلافات والصراعات والفقر والجهل والانفعالات وإذا كان محاولة تصحيح هذه الأوضاع بإشراك قوي للعلماء والمتخصصين يعتبر سيطرة فليكن الأمر كذلك وأقول وأكرر السلطة العلمية هي سلطة عاقلة تعرف واجباتها وتساعد الجميع وتنصح وهي سلطة محايدة وهي تتجه بالدولة نحو الاعتدال والوسطية والتوافق لأن هناك من لا يثق بالحكومة حتى لو كانت قراراتها صحيحة ومثل هذا يقال عن المعارضة.

(٨) **الشعب والسلطة العلمية:** ما أحوج شعوبنا وقياداتها الشعبية وقواها الرئيسية إلى أن تتعمق كثيرًا في مقترح السلطة العلمية وأن تتبناه وأن تغير فورًا من علاقتها بالعلم والعلماء وتوجد سلطات علمية صغيرة في أحزابها وجماعاتها واتجاهاتها وقطاعها الخاص وشركاتها وجمعياتها المهنية ومجالسها النيابية وأن تنشأ معاهد علمية وتشجع عمل الدراسات العلمية وخاصة الميدانية وأن تعطى وقتًا لقراءة الكتب الجادة ولعمل الدورات التدريبية المتطورة والمحاضرات المتميزة وأن

تجعل هناك طرفًا جديدًا وقويًا يشارك في صناعة اقتناعاتها ومواقفها وأهدافها وهم العلم والعلماء والدراسات العلمية لأن الاتجاه السائد هو إعجاب كل طرف بآرائه وتعصبه لها وعدم استعداده حتى لسماع آراء العلماء والمتخصصين ناهيك عن استقطابهم ورعايتهم وبحكم تخصصي في مجالين هما التخطيط وإدارة العلم والتقنية، فكم سمعت آراء خاطئة من رموز شعبية وحكومية عندما يكون الحديث عن التخطيط أو التقدم العلمي ولم يحاولوا حتى أن يكون عندهم متخصصين في هذين المجالين، وإذا كانت شعوبنا تشكو من الاختلافات في مختلف المجالات وإذا كان الجهل يفرق والعلم يوجد إذن نحن بحاجة ماسة إلى العلماء والحكماء ليجعلونا نقترب من الحق والعدل والتسامح والتعاون والمصالح العامة والواقعية والاعتدال، وليس صحيح أبدًا أن لدى كل اتجاه أو حزب أو جماعة أو قطاع خاص أو غير ذلك، ما يكفي من الكفاءات العلمية المخلصة وأن ما ينقصنا هو فقط التنفيذ فكم شاهدنا قوى شعبية وصلت إلى الحكم ففشلت أو أفسدت أكثر مما أصلحت أو كانت أسوأ ممن كان قبلها ونكاد نجد أغلب القوى الشعبية تهتم فقط بالإصلاح السياسي فكأن السياسة هي أهم الجبهات الإصلاحية مع أن أهم منها الجبهة العقائدية والجبهة التعليمية والجبهة الإدارية وهذا دليل على حاجتنا للسلطة العلمية، فأكبر معوقات قبول السلطة العلمية هو اقتناع الشعوب والحكومات أننا نعلم وعندنا ما يكفي من العلم لاتخاذ القرارات الصحيحة والخطط الناجحة في حين أن أي اختبارات حقيقية للرموز الشعبية المخلصة وكبار المسئولين والحكوميين المخلصين ستثبت أن أغلبيتهم سيرسبون في الاختبارات ولا حاجة حتى لتصحيح أجوبتهم بل اجمعوا إجاباتهم وإذا وجدتم بينهم تناقضات كبيرة ستقتنعون أن مشكلتنا في الأساس علمية.

(٩) استقلالية السلطة العلمية: من أهم نقاط ضعف القوة العلمية الوطنية هو تشتت وتفرق العلماء والمتخصصين على مستوى الوطن وحتى على مستوى المؤسسة والجامعة وغيرها فتجد التعاون العلمي ضعيف بين أساتذة القسم الواحد في الجامعة فلا يوجد تخطيط ولا تنظيم ولا تعاون إلا بصورة محدودة كأن بين العرب والعمل الجماعي حقد دفين وتتأثر إنتاجية العلماء والمتخصصين وخاصة في القطاع الحكومي بأبعادهم وإقصائهم في أحيانًا كثيرة من قبل المسئولين فكثير من أراء المتخصصين يرفضها المسئولون وهناك مسئولون لا يهتمون حتى بسماع آراء المستشارين أو متخصصين مؤهلين ولا يدرس المستشارون أو غيرهم إلا ما يطلب منهم ويفتقد كثير منهم للاستقلالية والحرية ويمكن القول أنه لا يتم حاليًا الاستفادة حتى بنسبة ٢٠٪ من الكفاءات العلمية وهذا وغيره جعل من وجود استقلالية للسلطة العلمية أمر مهم وضرورة وجود استقلالية جزئية للعلماء والمتخصصين في القطاع التنموي، فالاستقلالية والحيادية تعني الحرية والعمل الجماعي وتبعد العلماء والمتخصصين عن التأثر بالانتماءات السياسية والمؤسسية والنفوذ الإداري وغير ذلك، ومعروف أن من أهم صفات السلطة القضائية والقضاة الاستقلالية وكيف يكون للقطاع العلمي قوة إذا كان خاضعًا كليًا لسيطرة الحكومة أو مجلس نيابي أو قطاع خاص وهناك من يقترح أن تكون السلطة العلمية تابعة للمجلس النيابي وأقول يجب أن تكون مستقلة لا طرف في اختلاف سياسي أو غيره، وهناك من يقول إن إنشاء سلطة علمية يعني تغيير مواد في الدستور، وأقول ما أسهل ذلك إذا صلحت النوايا والعقول هذا إذا كنا نتكلم عن دساتير شعبية حقيقية ويمكن البدء فورًا بإنشاء سلطة علمية تكون كمرحلة أولى هيئة تابعة

للحاكم، فما الصعب في إنشاء معهد الدراسات الإدارية أو غيره فورًا حتى يتم اكتمال القبول السياسي والدستوري للسلطة العلمية.

(١٠) **ميزانية السلطة العلمية:** هل فعلًا نعرف أهمية العلم والعلماء كحكومات وشعوب أم أننا إذا قارنا ما نصرفه من وقت أو جهد أو مال على الكتب المفيدة والدراسات التدريبية واستشارة المتخصصين والقراءة وغير ذلك مقارنة بما نصرفه على المأكل والملبس والسيارات وحفلات الزواج والهواتف النقالة والواتساب والتوتير وغير ذلك يثبت أن اقتناعنا بالعلم ضعيف وهل نغير ما بأنفسنا أم نستمر على ما نحن فيه؟ وتنفق الولايات المتحدة حوالي أربعمائة مليار دولار على البحث العلمي في السنة في حين أن العرب ينفقون فقط عشرة مليارات وما تقدمه الدول العربية الغنية كنسب مئوية من الدخل القومي على البحث العلمي منخفض جدًا إذن لا بد من إنفاق أموال كثيرة على العلم والعلماء والمعاهد العلمية في السلطة العلمية وخارجها، فالعلم هو العمود الفقري للتنمية ولكن نريد إنفاق في مكانه الصحيح فليس كل إنفاق على البحث العلمي والتدريب والتعليم هو إنفاق رشيد وأطالب القطاع الخاص بأن يبدأ فورًا بتمويل الدراسات العلمية بل وإنشاء معاهد علمية فكلما تطورت الدولة علميًا كلما استفدنا جميعًا لأن بناء قطاع اقتصادي قوي يتطلب عمل دراسات علمية كثيرة وسيكون القطاع الخاص أحد المستفيدين وستزداد كثيرًا مشاريعه وأرباحه، ويمكن القول أننا نصرف حاليًا على نصف العلماء والمتخصصين التي تحتاجهم السلطة العلمية لأنهم موجودين في جامعات ووزارات ومؤسسات وشركات ومعاهد وهؤلاء يمكن انتدابهم كليًا وجزئيًا للعمل بالسلطة العلمية، ونحن بحاجة أيضًا إلى ميزانيات إضافية كبيرة ومن الضروري جدًا أن

يقوم أساتذة الجامعات والباحثين في المعاهد العلمية وغيرهم من المتخصصين بعمل دراسات علمية مرتبطة بالتنمية تثبت للشعوب أهمية العلم والعلماء في حل مشاكل التنمية وإيجاد فرص عمل للشباب وتحقيق التطوير الإداري والتعليمي والزراعي وغير ذلك حتى تقتنع الشعوب أن أرباحها من الإنفاق على البحث العلمي كبيرة ماديًا ومعنويًا.

(١١) **نشر مقترح السلطة العلمية:** مقترح السلطة العلمية هو مقترح جديد ولا يعرفه العلماء بكافة تخصصاتهم ولا الجامعات والمعاهد فما بالك بالحكومات والقوى الشعبية والقطاع الخاص ولم أسمع طيلة ثلاثة عقود من يستخدم مصطلح «السلطة العلمية» ناهيك عن الخطوط العريضة لها وهذا وضع طبيعي لأن أهل العلم مشغولون بتخصصاتهم وليس تخصص إدارة العلم والتقنية وكيف تتطور دولنا علميًا؟ وما علاقة العلم بالتنمية؟ فهذا تخصص مختلف ومن تكلم فيه من العلميين والسياسيين فقد تكلم بصورة عامة أو جزئية وأعطى آراء غير مبنية على دراسات علمية وتعمق وشمولية ولأن هذا مجال تخصصي لمدة ثلاثين سنة فقد اقتنعت بالأهمية الكبيرة جدًا جدًا لهذا المقترح وقد سألت شابًا مصريًا: «كيف نتقدم ونتطور كدول؟» فقال «الكل يسأل هذا السؤال ولا أحد يعرف إجابته» وأعجبتني إجابته جدًا لأنها اختصرت حقائق كثيرة في جملة قصيرة، ومن ليس مقتنع بما أقول أطلب منه أن يسال هذا السؤال لمن يعتقدون أنهم أفضل مائة من العلماء والسياسيين وغيرهم وسيجد إجابات متناقضة وأنا لا أعطي إجابة على أسئلة اقتصادية أو تعليمية أو غيرها بل أقترح آلية أي سلطة علمية هي التي ستعطي الإجابات الصحيحة أو القريبة من الصواب ومطلوب فورًا نشر هذا

المقترح بوسائل الإعلام المختلفة وأن يكون النشر على مستويين المستوى العام لكل الشعب والأمة والمستوى الخاص لمن يؤثرون في القرارات والخطط من حكومات وقيادات شعبية ورؤساء تحرير وقنوات قضائية ومغردين مشهورين وصحفيين لهم شعبية وجمعيات مهنية وغير ذلك، ومرحلة النشر هي المرحلة الأولى والأصعب لأنها ستتعامل مع عقول وبشر أما مرحلة تطبيق السلطة العلمية فهي مرحلة تنفيذية وستأتي لاحقًا وتحتاج إلى جهود سياسية وإدارية سهلة ويحزنني أن أسمع فرد يقول وماذا أستطيع أن أعمل؟ وأقول تستطيع أن يكون لك دور كبير في التعريف بالسلطة العلمية وبالتأكيد أن هناك صعوبات فهناك من سيقول لك أنه ليس مقتنع بالمقترح حتى قبل أن تشرح له المقترح، وهناك من يؤيده ولكنه لن يبذل جهدًا في نشره، وهناك من سيقول أنه مشغول باهتمامات أخرى وهذا وغيره وضع طبيعي والمهم أن يدرك كل فرد أو مؤسسة أو غير ذلك أن لدينا طاقات وإمكانيات كبيرة يمكنها تحقيق نشر هذا المقترح فكثير من الأفراد يعرفون وزراء أو مفكرين أو معارضين أو أساتذة جامعات أو غيرهم أو من يعرف هؤلاء ويستطيع مقابلتهم وفتح الإنترنت والتوتير والواتساب أبواب سهلة وسريعة يمكنها نقل كتاب أين السلطة العلمية؟ من الإنترنت وإرساله لأقصى الديار العربية.

علم المؤسسة

المقصود بعلم المؤسسة هو العلم الموجود في وزارة أو مؤسسة أو شركة أو جامعة أو معهد أو مدرسة أو جمعية مهنية أو حزب سياسي أو غير ذلك، وحدث أن قال الموظف لمدير المؤسسة السابق: «لقد دمرتنا» فقال: «اجتهدت في عملي» وأقول كم أضرتنا آراء مسئولين وآباء وأمهات وأزواج وزوجات ومعارضين ومفكرين وموظفين فعلوا ما اقتنعوا به وقد يقول المسئول المخلص المجتهد «لقد شاورت واستمعت إلى كثير من الآراء ثم قررت ما اقتنعت أنه صحيح» أي جعل ميزان الحق والصواب من الباطل والخطأ هو عقله وليس العقل الجماعي لعشرة في المائة من أفضل العقول في المؤسسة وكيف يجتهد وهو لم يطلب إجراء دراسات ميدانية ومقابلات كثيرة ولم يعطي كل أصحاب تخصص اختيار الرأي الصحيح المتعلق بتخصصهم، وهل هناك مسئول متخصص في عدة مجالات كالتخطيط والإدارة وأنظمة المعلومات والإعلام والتعامل مع المجتمع وغير ذلك حتى يقول اجتهدت وقيل قديمًا «لأن أشاور وأخطئ خير من انفرد برأيي وأصيب» وقيل «شاور العاقل يكن عقله لك» فالمشاورة لا تعني الاستماع للرأي بل الأخذ به وما فعله هذا المسئول وغيره كثير ليس اجتهاد فلا اجتهاد أصلًا بلا تخصص علمي وخبرة وتشاور وقد يقول المسئول لقد أخذت دورات في التخطيط والإدارة أو غير ذلك وأقول فرق كبير بين دورات قليلة وبين علم وخبرة أفراد متخصصين لديهم عشر وعشرين وثلاثين سنة خبرة في التخطيط أو الإدارة أو الحاسب الآلي أو السياسة أو غير ذلك. ومن أهم واجبات السلطة العلمية الاستماع لأغلب العقول المتخصصة في الدولة فهي تجمع ما تستطيع من علم لديهم وهو كثير وأكثر من علم العاملين بالسلطة ولكنها تعالجه

وتصنع منه مسودات لقرارات وخطط وسأتطرق هنا إلى أمور تساهم في تطوير علم وعقول المؤسسات من خلال النقاط التالية:

(١) **المجلس العلمي الاستشاري:** من الضروري إنشاء مجلس علمي استشاري في كل مؤسسة متوسطة وكبيرة لا يقل أعضاؤه عن ثلاثين فردًا بنسبة ٣٠٪ من وقتهم وليس فيهم أي مدير ويتميزون جدًا بالعلم والمهارات والإخلاص والخبرات العملية وفيهم تخصصات متنوعة ويتم اختيار بعضهم بمشاركة من العاملين ويفضل أن يكون ربع أعضائه من خارج المؤسسة ويتم تغيير ٤٠٪ من أعضائه كل سنتين وتكون مهمته الأولى القيام بدراسات حول المقترحات التي تساهم في تطوير المؤسسة وهذا المجلس ذو صفة استشارية ويضيف لكل مؤسسة عقلًا كبيرًا هي في أمس الحاجة له.

(٢) **الخطة أولاً:** كثير من المسئولين المخلصين يقومون بعمل إصلاح هنا وتطوير هناك وهذا أمر مطلوب وأهم منه بكثير عمل خطط سنوية وخمسية بها تطوير كبير وفي كل القطاعات، ومن أهم أسس التخطيط إشراك أغلبية إن لم أقل كل العاملين بصورة جدية وشاملة وكبيرة وتجميع ما في عقولهم من علم وما في نفوسهم من قوة، فأبذلوا جهود كبيرة في عمل الدراسات الكثيرة التي تتطلبها الخطط وفي تخصيص وقت كبير وزمن طويل ومستمر للتخطيط، ولا أبالغ إذا قلت أن إعداد خطة سنوية بحاجة إلى جهود سنة من الإعداد المكثف وتحتاج الخطة الخمسينية إلى جهود ثلاث سنوات من الإعداد المكثف لأن مؤسساتنا تعاني بشدة من نقص الدراسات والمعلومات والمناقشات والعمل الجماعي وضعف المعنويات وبعضها من الصراعات وغير ذلك، وللأسف الأغلبية الساحقة من مؤسساتنا لا

تبذل إلا جهود قليلة في إعداد الخطط، ومن أهم الأمور هو نشر الوعي التخطيطي بين الموظفين ولي ثلاثة كتب في هذا الموضوع موجودة على الإنترنت أرجو قراءتها وهي «تعلم التخطيط في ساعات» و«التخطيط الوهمي» و«نموذج الدكتور مساعد للتخطيط الاستراتيجي» فاعرفوا علم التخطيط أولاً ثم ابدأوا بإعداد الخطط.

(٣) **الإدارات الميتة:** انتقل موظف عمل سبع سنوات من إدارة إلى إدارة أخرى في نفس المؤسسة فيها دراسات علمية وحوارات وتفكير فقال «تعلمت في أربع شهور ما لم أتعلمه في سبع سنوات» فالإدارة السابقة كانت ميتة فلا كتب تقرأ ولا دراسات جادة ولا حوارات علمية بل عمل روتيني وملل وما أكثر الوظائف والإدارات التي تحطم التطور العلمي والعقلي وما أكثر ما نقدم من أعذار لاستمرار هذا الوضع فلا يعقل مثلًا أن يكون دور موظف هو فقط استلام الفواتير وتدقيقها، وكيف نتطور كمًا ونوعًا إن لم نطور الموظفين والعمال والمعلمين والمهندسين والمدراء والمزارعين والتجار والعلماء وغيرهم، أليس أفضل أنواع الاستثمار هو الاستثمار في البشر إذن فلسفة العمل القائمة فقط على الراتب مقابل العمل ولا علاقة لها بتطوير العمل والعاملين هي فلسفة جاهلية تجعل إدارات ومؤسسات ميتة لأن العلم حياة ونور وهي تعيش في ظلام حتى لو كانت هناك إضاءة كهربائية وغير ذلك.

(٤) **مجلس المؤسسة:** هو مجلس يرأسه المدير العام وأعضائه مدراء الإدارة العليا والوسطى والمستشارين وهو مجلس استشاري يساعد المدير العام بإبداء الآراء حول مختلف القضايا ويجعل مدراء الإدارة الوسطى على معرفة بكثير من الأمور وهذا من شأنه أيضًا تقوية الاتصالات الرأسية والأفقية في المؤسسة فكثير

من المؤسسات تشكو بشدة من انفصال الرأس عن الجسد أو ضعف الارتباط بينهما ويفضل أن يكون لكل مدير إدارة وسطى فريق علمي يستشيره ليس من مؤهلات أفراده النفاق أو السلبية.

(٥) **إدارة السياسات والتخطيط:** تكتسب إدارة السياسات والتخطيط أهمية كبيرة جدًا لارتباطها بالخطط السنوية والخمسية والرقابة والقرارات الكبيرة والنظرة الشمولية والدراسات العلمية، ولكن وللأسف أغلب إدارات التخطيط في العالم العربي ضعيفة جدًا فلا أفراد متميزين ولا رواتب مغرية ولا صلاحيات كبيرة ولا تدريب فعال ولا حتى عدد كافي من العاملين، وليس في كثير منها متخصصين في علم التخطيط في حين أن المطلوب أن تكون هذه الإدارة مشارك رئيسي في صنع القرارات والخطط ويجب أن يكون المسئول الثاني في المؤسسة نائب المدير العام للتخطيط ومتفرغ كليًا للتخطيط ولا ينشغل بأمور تنفيذية إدارية أو غيرها.

(٦) **إدارة الدراسات:** من المعروف أن كل نشاط مهم يحتاج إلى إدارة تكون مسئولة عنه فمسئولية الجميع هي مسئولية لا أحد إذن يجب أن يترجم اقتناعنا بالعلم إلى إيجاد إدارة قوية للدراسات العلمية تقوم بعمل الدراسات وتشجيع الإدارات التنفيذية على القيام بالدراسات، فالعلم هو الدراسات العلمية قبل أن يكون العلماء والمتخصصين ومن الضروري اعتبار عدد ونوعية الدراسات العلمية مؤشر قوي في تقييم الإدارات والمدراء والأفراد، وكم من التقدم سيتحقق في مؤسساتنا ووطننا إذا انشغل الكثير من العاملين في المؤسسات في عمل الدراسات العلمية الميدانية وكان بعضها أبحاث الماجستير والدكتوراه أي تحقق أهداف مشتركة للمؤسسات والأفراد.

قفزات علمية

سأتطرق في هذا الفصل إلى مقترحات تساهم في التطور العلمي والتنموي وكثير منها معروف ولكن سأحاول وضع بعض النقاط على الحروف وإقناع آخرين بأهميتها فالإيمان بها ضعيف أو مفقود عند الكثيرين وإليكم ما أقول:

(١) **الدراسات الميدانية:** نحتاج وبلا مبالغة مئات الآلاف من الدراسات الميدانية في العالم العربي فالعلم ليس فقط كتب ومدارس وجامعات واستشارات ومتخصصين بل كثير منه يسمى علم الواقع هذا الواقع الذي يختلف من فرد إلى آخر ومن أسرة إلى أخرى ومن مؤسسة إلى أخرى ومن جامعة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى... إلخ فنحن بحاجة إلى معرفة الواقع وما فيه من أرقام وأفكار ومهارات وإمكانيات ونوايا وأهداف فمهما كان عندنا من علم نظري أو معرفة بتجارب تطور الدول النامية ككوريا الجنوبية وتركيا وسنغافورة وماليزيا فإن واقع هذه الدولة العربية أو تلك يختلف كثيرًا فالقطاع الزراعي المصري يختلف عن القطاع الزراعي الماليزي وما فيه من محاصيل وقوى بشرية وأهمية وطنية ولا يمكن تقليد النظام التعليمي السنغافوري في السعودية وهكذا إذن لنشخص أولًا واقعنا بالدراسات الميدانية ثم لنصنع أساليب وطرق وأولويات تناسبنا لتطوير هذا الواقع وكثيرًا ما يفشل المستشارين الأجانب في معرفة واقعنا خاصة إذا تكلمنا عن قطاع كبير وليس مؤسسة وتكون مقترحاتهم محدودة الفائدة، ومن الخطأ تقليل أهمية الواقع فكم أخطأنا في معرفة حقائق رئيسية عن قطاع الشباب ونحن بحاجة إلى معرفة رغباتهم وطموحاتهم وقدراتهم وغير ذلك حتى نستطيع أن نساعدهم ويساعدوننا ونبعدهم عن الضياع والعواطف الخاطئة والانفعالات السياسية ونجد الهيئات

المسئولة عن الشباب في الغالب ضعيفة وتكاد لا يوجد عندها أي دراسات ميدانية عن عالم الشباب، ونجد ضعف شديد في الجامعات في الاهتمام بالدراسات الميدانية فالجامعات الإسلامية مثلًا مرتبطة بالكتب وتكاد تختفي فيها الدراسات الميدانية عن العدل والحرية والشورى والمشاكل الاجتماعية وغير ذلك ونجد في المقابل اهتمام كبير جدًا في الغرب بالدراسات الميدانية الاجتماعية والمادية في مختلف المجالات فهم يريدوا أن يكونوا قريبين جدًا من الواقع والتنمية والناس والمشاكل والطموحات ومع أن الفقه الإسلامي قائم على القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل ومعرفة الواقع إلا أن هناك من يقلل من أهمية الدراسات الميدانية ولهذا نعاني من انفصال كثير من العلماء والمتخصصين عن الواقع ومن باب الإنصاف أن نقول أن الأطباء هم الأكثر وعيًا بأهمية معرفة واقع المريض لأن أول ما يفعلونه هو أخذ الفحوصات أما غيرهم فيعطونك حلول للمشاكل بعد تعامل سطحي أو معرفة جزئية وليس صحيح أبدًا أننا نعرف الواقع لأننا نعيش فيه فكثير من المؤسسات الكبيرة لا يعرف المسئولون والعاملون فيها كثيراً من أمورها واسألوهم عن مشاكلها وأولوياتها واطلبوا منهم أرقام عن كذا وكذا واسألوهم عن الكفاءة العلمية الحقيقية للمسئولين والعاملين وأرجو أن لا يعطونك ما حصلوا عليه من شهادات فهذا مؤشر واحد والكفاءة العلمية أكبر من ذلك بكثير وإذا عملنا دراسات ميدانية سنكتشف أن الغالبية الساحقة من الشباب والموظفين لا يعرفون كيف يخططون لحياتهم الوظيفية، وكثير من الزوجات يرتكبن أخطاء كبيرة في التعامل مع أزواجهن أو تربية أبنائهن وهكذا وطالبت منذ سنين بإيجاد مستشفيات علمية تتعامل مع ما في عقولنا من جهل وتعالجه ولكننا نهتم بأمراض الأجساد ونتجاهل

أمراض العقول. باختصار نحن بحاجة فورية إلى القيام بدراسات ميدانية كثيرة جدًا تقوم بها الجامعات والمعاهد والوزارات والشركات والمدارس والموظفين وغيرهم.

(٢) **العلم والتخطيط:** يمكن القول أن العلم والتخطيط وجهان لعملة واحدة وبالتأكيد أن أغلب الخطط العربية سواء كانت لدول أو وزارات أو مؤسسات أو شركات أو غير ذلك هي خطط ضعيفة وتطرقت في كتاب «التخطيط الوهمي» وكتاب «نموذج الدكتور مساعد للتخطيط الاستراتيجي» لهذا الموضوع وأدعو هنا بأن يتم بذل جهود علمية كبيرة جدًا وإعداد دراسات كثيرة جدًا وعمل مقابلات واجتماعات وندوات قبل اتخاذ أي قرارات كبيرة أو إعداد الخطط لأن القرارات والخطط التي تبنى على رصيد علمي ضعيف ستكون في الغالب خاطئة ونريد دراسات جادة ومتميزة لأن كثيراً من الدراسات الموجودة ضعيفة نوعًا وكمًا ولم يبذل في إعدادها جهودًا كبيرة إذن موسم التخطيط هو موسم تطور علمي حقيقي في عقول ومعلومات كل المؤسسات الحكومية والخاصة والأهلية والتطوعية لأنه يتحدث عن الأولويات والأهداف الصحيحة وعن الوسائل الصحيحة وعن نقاط القوة والضعف والإمكانيات والصعوبات ومن المسئول عن التنفيذ؟ وغير ذلك وتذكروا أن هناك تخطيط متميز وعادي وضعيف وجزئي ووهمي وخيالي وغير ذلك.

(٣) **ثورة في عالم التدريب:** ترتبط التنمية بثلاث قوى علمية رئيسية أولها وأهمها المعاهد العلمية في السلطة العلمية وخارجها والثانية الأسطول التدريبي والثالثة القطاع التعليمي وقد عملت لخمس سنوات في إدارة التدريب وأدركت أهمية التدريب الكبيرة وارتباطه بالعمل فهو ليس نشاط ثانوي أو هامشي

كما يعتقد الكثيرون وهو نشاط يحتاجه المسئولون والموظفون والعمال والمهندسون وغيرهم وهو أكثر ارتباطًا بالعمل والإنتاجية من التعليم ونجد ميزانيات التدريب كبيرة جدًا في المؤسسات الأجنبية الناجحة وضعيفة جدًا في ميزانيات كثير من المؤسسات العربية ونجد أنواع متدنية من برامج التدريب العربية وأكثرها تجارية أو شكلية ولا زلنا لا ندرك أن المدير هو المدرب الأول أو المسئول الأول عن التدريب ويجب أن يتم أخذ كفاءته التدريبية بالاعتبار في تقييم أدائه وفي ترقيته ومما يروى أن بعض المؤسسات المتطورة تقول للمدير إذا كان مرشحًا لمنصب أعلى قدم لنا أسماء من ترشحهم للقيام بوظيفتك فإن فشلوا في الاختبار قيل له لن يتم ترقيتك للمنصب الأعلى أي هم يربطون مصلحته الشخصية بحرصه على تدريب وتأهيل موظفيه ولا يقتصر التدريب على الدورات التدريبية بل يشمل برامج التدريب أثناء العمل وإلقاء المحاضرات وعمل الدراسات والانتدابات الكلية والجزئية وقراءة التقارير والدراسات وإعطاء مهمات جديدة وحضور المؤتمرات والاجتماعات... إلخ وأي مستشار أو متخصص أو موظف عنده خبرة عليه أن يعلمها للعشرات والمئات ولماذا لا نرى عشرات الآلاف من العرب من مختلف التخصصات يتدربون لشهور أو سنة في دول عربية ونامية ومتقدمة في مجالات تحتاجها التنمية وأن نقوم نحن كذلك بتدريب الآخرين فيما نحن متقدمين فيه خاصة وأنه تراكمت خبرات لا بأس بها في استزراع الروبيان والاستثمار ومنتجات الألبان والصناعات الجلدية والسياحة والأقمشة وغير ذلك وتحتاج برامج التدريب جهودًا كبيرة جدًا في الإعداد والتنظيم وحسن اختيار المدربين والمتدربين وكم شاهدت متدربين ليسوا جادين ولا أبالغ إذا قلت أن برنامجًا تدريبيًا مكثفًا خلال سنة أو حتى ستة شهور يمكن أن يتعلم منه المتدرب أفضل من أربع سنوات من الدراسة الجامعية.

(٤) **تطوير سريع للتعليم:** مع مطالبتي بوجود سلطة علمية ومعاهد علمية خارجها ودراسات علمية إلا أن هذا لا يمنع من أن نستشير فورًا علماء ومتخصصين ليقدموا لنا مقترحات مقنعة ويمكن تطبيقها بسهولة وإذا أخذنا قطاع التعليم فيمكن زيادة حصص الرياضة من حصتين إلى أربع حصص أسبوعيًا وجعلها ساعات للرياضة والترفيه ويمكن عمل مائة محاضرة هامة متميزة لكل مرحلة دراسية يعدها خبراء وتكون هذه المحاضرات متنوعة وتتحدث عن الطلاق والعنوسة والتعصب العرقي والتشاؤم والكسل وعن كيفية عمل مشاريع خاصة صغيرة وجمال الصحراء وأنواع مختلفة من الصناعة والزراعة وغير ذلك ويمكن عمل عشرة أيام عمل من كل سنة دراسية يقوم الطلبة بها بتنظيف المدينة أو مساعدة المحتاجين أو غير ذلك ويمكن عمل كتيبات متميزة تعلم النظار والمعلمين كيفية التعامل مع الطلبة المتميزين والمشاغبين أو العاديين... إلخ وكم نحن بحاجة إلى جهود سريعة الفعالية تقنع المعلمين بأهمية التعليم وتجعلهم أكثر تفاؤلًا وابتسامًا، وأنبه هنا إلى قضية مهمة جدًا وهي ضرورة وجود الشجاعة والجرأة والمبادرات عند المعلمين والنظار والموجهين والمسئولين وأحذر بشدة من الجمود والروتين ومحاربة التغيير فبعض أنظمتنا التعليمية سيئة ولن تكون أسوأ إذا تم تغيير بعض أجزائها وهناك تجربة تعليمية ناجحة في فنلندا يمكن الاستفادة منها وليس تقليدها فهي فيها كثير من الجرأة ولندرك أن قادة التغيير والشجعان هم عادة قلة وأن هناك كثيرون من المسئولين أسهل شيء عندهم رفض التغيير خوفًا من الفشل أو ابتعادًا عن التعب ولا تقللوا من أهمية الإنجازات الصغيرة بحجة أن المشاكل كبيرة فكثير من الإنجازات الصغيرة لها فوائد كبيرة فقطرات المطر الصغيرة

كونت أنهارًا عظيمة وعمل ملعب كرة قدم صغير لأطفال الحي إنجاز مفيد له فوائد كبيرة وتنظيف وتجميل شارع واحد في المدينة قد يؤدي إلى تنظيف وتجميل كل شوارع المدينة ونشر قصص واقعية هادفة يساهم في رفع مستوى الأخلاق وقد أدى تعليق لوحة في مطار دبي إلى إسلام بعض الأجانب وهكذا، وهذه الإنجازات يمكن تحقيقها كأفراد وشركات وجمعيات مهنية وغير ذلك ولكن أطالب أولًا بأن نبذل جهود فردية وجماعية في دراستها والتشاور مع كل الأطراف المعنية حتى ننجح في التخطيط والتنفيذ والاستمرارية قال أينشتاين «ليست الفكرة في أني فائق الذكاء بل كل ما في الأمر أني أقضي وقتًا أطول في حل المشاكل».

(٥) **تخصصات علمية جديدة:** عدة ملايين من الجامعيين وغيرهم من العرب متخصصين في مجالات علمية عامة كالإدارة والمحاسبة والقانون والتربية والهندسة الكيميائية وغير ذلك ونحن بحاجة إلى مئات التخصصات العلمية الجديدة المرتبطة بالتنمية واحتياجاتها مثل أهمية العمل الجماعي والشورى الإدارية واستزراع الأسماك والروبيان وإنتاج القمح ومنتجات الألبان والصناعات الجلدية وصناعة السيارات ومشكلة البطالة ومشكلة الإسكان والتعليم الممتع وبر الوالدين ورفع المعنويات وتطوير الصحراء والسياحة البحرية والاستثمار في العقارات وتطوير المطاعم ومشاكل المراهقين والعنوسة وزراعة النخيل وتقطير المياه بالطاقة الشمسية وإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية ومشكلة ازدحام السيارات وغير ذلك. ويمكن أن يكون للطالب الجامعي تخصص عام واحد وتخصصين أو ثلاثة محددين ويفضل أن يكون أحدهما خارج التخصص العام وفي مجال يرغب به الطالب وتحقيق هذا الأمر ليس صعب فهناك متخصصون ذو خبرة في هذه

المجالات ويمكن الاستعانة بهم في إعداد مناهج التعليم والتدريس وهذا يجعل الجامعات تبدأ من حيث انتهى الخبراء وتكون مرتبطة جدًا بسوق العمل وعلينا ألا نكتفي بذلك بل نجعل هناك تخصصات جديدة في الوظائف الحكومية والخاصة وعلى سبيل المثال نطلب من المتخصصين بالشريعة الإسلامية وأئمة المساجد إتقان تخصصين أو ثلاثة مثل محاربة التعصب العرقي والحياة الأسرية السعيدة والدعوة في اليابان وأهمية الأخذ بالأسباب المادية ودور العقل في البناء والأسس الصحيحة لتربية الأطفال وخطر التبذير والإسراف... إلخ. وهذا تطور كبير جدًا نحن في أمس الحاجة له فهل هناك مسئولين وموظفين يبدأون بأخذ المبادرة وتحويل هذا المقترح إلى واقع أسأل الله أن يوفقهم لذلك.

(٦) **مدرسة العمل:** هناك مدارس كثيرة منها المدارس والجامعات ومدرسة الأسرة ومدرسة الأصدقاء ومدرسة الإعلام ومدرسة العمل وغير ذلك، وسأتطرق هنا إلى مدرسة العمل فمن المعروف أن كثيراً من التجار والعمال المتميزين والمستشارين والمهندسين وغيرهم تعلموا من خلال العمل أكثر بكثير مما تعلموه من خلال الدراسة الجامعية بل تعلموا تخصصات علمية جديدة مختلفة عن شهاداتهم الجامعية فكثير من التجار ليسوا متخصصين في علم التجارة وغير ذلك كثير فإذا تعلم ابنك الشاب في الصيف في ورشة تصليح السيارات فقد يأخذ هذا مجال لعمله في المستقبل وسيتعلم الكثير إذا عمل في ورشة كبيرة فيها عدة تخصصات وهكذا وإذا عمل ابنك مع تاجر عقارات سيتعلم الكثير وهكذا، ومن وسائل التدريب من خلال العمل إعطاء مهمات جديدة للعاملين في المؤسسة وحتى التجول في بلدك أو غيره من مصنع إلى مزرعة إلى تجارة إلى مدرسة إلى جامعة...

إلخ يجعلك تتعلم وقيل «اللي يعيش يامه يشوف واللي يمشي يشوف أكثر» وتعتبر مدرسة العمل ضرورية جدًا للأطفال والشباب فهي تعلمهم مهارات كثيرة داخل المنزل وخارجه وتجعلهم أكثر واقعية وصبرًا وأبعد عن الخيال والانفعالات الخاطئة وتملأ حياتهم بأمور جادة وهامة وبالتأكيد أن هناك بيئات ضعيفة أو حتى ميتة شاهدت هذا في أسر ومؤسسات وشركات ووزارات، فالأعمال روتينية ومتكررة ومملة قال الموظف لرئيسه في العمل «عندي خبرة عشرين عامًا فقال عندك خبرة سنة واحدة تكررت عشرين مرة» وأطالب بتخصيص ٢٥٪ من وقت العمل في كل الوظائف للتطوير العلمي أي القراءة والمحاضرات والتدريب وغير ذلك.

(٧) **اقتناص الفرص**: ملايين الشباب العربي داخل العالم العربي وخارجه يشكون من القيود والصعوبات وقلة الإمكانيات وأنا لا أنكر وجود كل ذلك ولكن بحكم عملي في التخطيط فأنا أرى أيضًا أن هناك نقاط قوة وإمكانيات وفرص كثيرة وأعلم أنه كلما ازددنا علمًا في تخصص ما أو خبرة في الحياة سنجد أن هناك فرص كثيرة جدًا وأعلم أن هناك حلول لكثير من نقاط الضعف والصعوبات فحتى مشاكلنا العقائدية والسياسية التي تبدو صعبة ومعقدة هناك حلول لها وأقول لمن يشكو من غياب التمويل إن الأموال متوفرة عند الأغنياء ولكن لن يشاركوك في مشروع إن لم تقنعهم بذلك واعلم أن النجاح في كثير من المشاريع يتطلب أولًا الخبرة في المجال وثانيًا أفراد ناجحين في التسويق ثم بعد ذلك تأتي أهمية المال إذن المشكلة والصعوبات الحقيقية هي داخل عقولنا ونفوسنا وهي من تجعلنا متشائمين أو يائسين أو متواضعين في أهدافنا وطموحاتنا ونستسلم ونتوقف من أول صعوبة نواجهها ومن الفرص الكثيرة أنك إذا رأيت شابًا أمينًا فقل يصلح كشريك في

مشروعك الخاص وإذا أكلت بطًا صغيرًا لذيذ اللحم فقل يمكنني عمل مزرعة بط وإذا رأيت صحراء ممتدة ففكر في المشاريع التي تصلح لها؟ وقد تستغرب إذا وجدت الأوروبيين أول الراغبين في السكن في فنادق في الصحراء ورأيتهم معجبين جدًا بالهدوء والنجوم في الليل ونقاء الهواء والتعرض للشمس والمشي على الرمال... إلخ وكلما عملنا دراسات نظرية وميدانية حول المشاريع والمقترحات والأفكار كلما كنا قادرين على اكتشاف فرص جديدة واقتناصها أما العيون التي ترتدي نظارات سوداء فلن ترى إلا الضعف والأخطار والصعوبات والفشل والسلبيات و«مفيش فايدة يا صفية».

كتب للمؤلف

الطريق إلى الوحدة الشعبية «دعوة لبناء الجسور بين الاتجاهين القومي والإسلامي».

الطريق إلى السعادة .

إصلاح الشعوب أولاً .

لا للتعصب العرقي .

عجز العقل العلماني .

الكويت الجديدة .

العلمانية في ميزان العقل .

العلمانية تحارب الإسلام .

تطوير البحث العلمي الخليجي .

الليبرالية الضائعة .

العلم يرفض الليبرالية .

العلمانية منبع الضياع .

لا للأبحاث التطويرية بالاشتراك مع الأستاذ عبدالله عودة .

لا لأبحاث الجامعات .

المشاريع البحثية.. مشاكل وحلول .

كيف تخطط لحياتك الوظيفية ؟

التخطيط الوهمي .

إصلاحات شعبية .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

الطريق إلى التقدم العلمي .

نموذج الدكتور مساعد للتخطيط الاستراتيجي .

أين السلطة العلمية ؟

تطوير السلفيين .

تطوير الليبراليين .

الإصلاح العلمي أولاً .

نهاية العلمانية (تحت الإعداد) .

تم
بحمد الله